أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

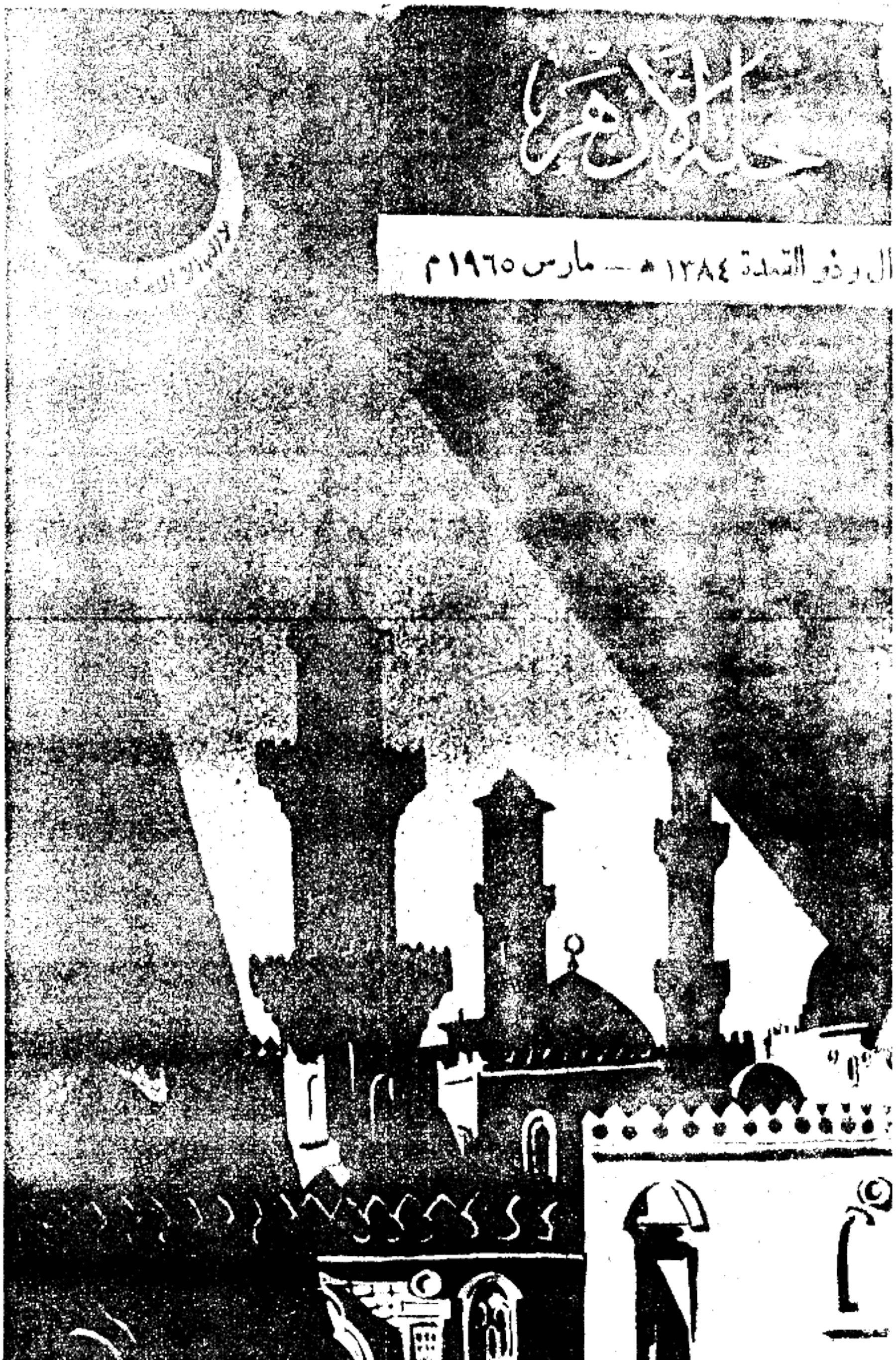

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

# مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فودا
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثامن والتاسع ـ السنة السادسة والثلاثون ـ شوال وذو القعدة سنة ١٣٨٤ هـ ـ مارس ١٩٦٥ م

## أثر الأدب في ثورة العرب

بقلم : أحمد حسن الزيات

لا يمكن أن تكون ثورة إلا إذا سبقتها نهضة ، ولا يمكن أن تكون نهضة إلا إذا بشرت بها دعوة . والدعوة إما نبي أو رسالة مصلح . وليس النبيين من عدة إلا أدب الوحي . ولا للمصلحين من أداة إلا وحي الأدب . فالنهضة والثورة تتفقان في المصدر ، وتختلفان في المظهر : النهضة انتباهة والثورة انتفاضة . النهضة علاج يوقظ الوعي الغافي ، ويقوي الجسم الضعيف ، والثورة جراحة تستأصل الداء ، وتقي المريض النكسة . النهضة نهر فياض يتنفس بالحياة ويفيض بالخصب ويهيئ البلاد للعمران ، والثورة سيل جارف يحطم الحواجز ، ويقتلع الصخور ويهيئ الأرض للربيع . النهضة دعوة باللسان ما دام هناك عقل مستعد ، والثورة جهاد بالسيف متى تغلب على العقل هوى مستبد . والنهضة والثورة قوامهما ـ كما قلت ـ واحد : هو الأدب . يكون للنهضة غذاء يحيي ونوراً يهدي ، كما يكون للثورة وقوداً يشعل وناراً تطهر . فإذا زالت العقبات ، واستقرت الأمور ، وسكنت الثورة . انفرد الأدب بالنهضة ينفخها بروحه حتى لا تضرى ، وينضحها بنداه حتى لا تجف . وضراوة النهضة وجفافها معناهما المادية . والمادية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



هى علة الشقاء للإنسان الحديث . أصيبت بها المدنية الأوربية حين وقعت الجفوة بينها وبين الدين ، وانقطعت الصلة بينها وبين القلب فتباعدت القربى ، وتشعبت الحاجات ، وتنافست الأطماع ، وتكاثفت الأحقاد ، واضطرب الناس فى سبيل الكدح ، وألهبتهم حوافز النهم ، حتى عجزوا بخلقتهم وطبيعتهم عن مسايرة الحضارة الخالية من الروح والضمير والحب ، فسعوا بالطائرات وعملوا بالآلات ، ونظروا ( بالتلسكوب ) وسمعوا ( بالميكروفون ) . وضاقت عليهم الأرض برحبها فضربوا فى الآفاق ، واختصموا على بلاد المستضعفين وحكموا بينهم السلاح ، فكانت هذه المدنية المادية أشبه بسعير الآخرة ، تنضج الجلود ولا تزهق الأرواح ليستمر الاضطراب ويتجدد العذاب ويدوم للطبيعة الخداعة هذا الثوب البراق بفضل هذا الإنسان الأحمق الذى يعمل ولا يعرف لماذا . ويسرع ولا يدرى إلى أين ! ...

لا نستطيع إذن أن نفصل بين نهضتنا والأدب ، ولا بين حضارتنا والدين اتعاظا بالفشل المروع الذى نكبت به الحضارة الغربية ، وإيمانا بأن لنا نحن العرب رسالة روحية اصطفانا الله لأدائها جيلا بعد جيل ، ليبقى الاتصال بين السماء والأرض ، ويدوم المدد بين الله والإنسان .

سنظل مؤمنين مصدقين بما قال الله تعالى فينا : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » .

وسنعتقد دائما : أن روح العروبة هو الأدب ، وحدها بعد شتات فى القرن السادس ، ثم أحياها بعد ممات فى القرن العشرين .

وفى هذين القرنين سجل التاريخ للعرب نهضتين عظيمتين مهدت الأولى للإسلام وكانت فتحاً لعالم جديد ، ومهدت الأخرى للسلام وستكون فاتحة لعالم أفضل .

كانت النهضة الأولى موطنها الحجاز ، ومبعثها مكة ، ذلك لأن مكة كانت فى النصف الثانى من القرن السادس للميلاد محطاً للقوافل التجارية الآتية من الجنوب تحمل البضائع من الهند واليمن فيبتاعها المكيون ويصرفونها فى أسواق الشام ومصر ، وكانت طرق مكة الموصلة آمنة لحرمة البيت ، ومكانة قريش ، فكان تجارهم يخرجون بقوافلهم الموقرة آمنين فينزلون الأسواق ويهبطون المدن فيستفيدون بسطة فى العلم ، وقوة فى الفهم ، وثروة فى المال وخبرة بالحياة .

وكانوا بحكم إيلافهم رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى حوران ، أشد العرب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



اختلاطا بالحبشة فى الجنوب ، وبالفرس فى الشرق ، وبالروم فى الشمال ، ثم كانوا على أثارة من العلم بالكتب المنزلة باليهودية فى يثرب وما جاورها من أرض خيبر وتيماء وبالنصرانية فى الشام ونجران والحيرة .

ذلك إلى أن مكة كانت فى الجاهلية كما هى فى الإسلام موضع البيت المحرم ، ومكان الحج المفروض فتفد إليها قبائل العرب من أقطار شبه الجزيرة يقضون المناسك ، ويتبادلون المنافع . وبفضل هذا الاجتماع الدينى العام كانت تقوم سوق عكاظ السنوية فى شهر ذى القعدة على مسافة قريبة من مكة ، فيجتمع فيها الحجيج وهم فى حمى الأشهر الحرم ، وهى الهدنة العامة المقدسة ، فيبيعون ويشترون . ثم تدعو طبيعة الاجتماع إلى المفارضة بالقول والمفاوضة فى الرأى والمبادهة بالشعر والمباهاة بالفصاحة . وكان الشعراء من أمثال : النابغة والأعشى ، والخطباء من أمثال : عمرو ابن كلثوم ، وقيس بن زهير ، والحكماء من أمثال : قس بن ساعدة ، وأمية بن أبى الصلت ، يقومون فى هذه السوق مقامات مشهورة للمدح والفخر والوعظ . تحرض بعض النفوس على الشر ، وتوجه بعض النفوس إلى الخير ، وتسن للفتوة العربية خلال المجد ومناهج الحمد ، وتذيع فيما تذيع وحدة الخلق والعادة واللغة والغاية .

كان أثر عكاظ فى نهضة العرب أشبه بأثر الجنادرية فى نهضة الإغريق . كان الإغريق يقيمون الجناز للألعاب الرياضية فى مدينة ( أولمبيا ) كل أربع سنين كلما حجوا معبد ( جوبتير ) كبير الآلهة . وكانوا يحرمون القتال على أنفسهم مدة الحج واللعب على نحو ما كان يفعل العرب فى الأشهر الحرم . ثم أصبح هذا الملعب الرياضى ميدانا لرجال الفكر والشعر والخطابة والتمثيل كان له الأثر البالغ فى ازدهار الأدب الإغريقى على الجملة .

على أن عكاظا كان أثره فى نهضة العرب والأدب أقوى ، ومداه أبعد ، فقد كان الرواة ينصرفون منه إلى أحيائهم وقراهم ، وعلى ألسنتهم ما حفظوا من شعر ، وما سمعوا من قصص ، وما اكتسبوا من علم ، وما شهدوا من وقائع فينشرونه بين الناس فى السوامر والأندية فيتفتح الوعى ، وتنشأ المعرفة .

وهكذا اجتمعت الأسباب الطبيعية لنهضة عرب الشمال قبل الإسلام من احتشادهم فى هذه الأسواق ، واجتماعهم لأداء الحج ، واختلاطهم بأولى الحضارات والديانات من الأمم المجاورة ، واحتفالهم بقرض الشعر وتأثرهم به ، وطموحهم إلى المجد وسعيهم له ، حتى كان من ثمار تلك النهضة أولئك الأبطال الأعلام الذين قبلوا الإسلام وفهموه وفقهوه ونصروه ونشروه وقاموا على أمره ، كأبى بكر وعمر وعثمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



وعلى وعمرو وخالد وسعد . وليس أدل على فضج العقلية العربية فى ذلك الحين من هؤلاء . وكلهم من أقطاب الفكر والرأى والخطابة .

ولسلطان الأدب على النفوس فى هذه النهضة كانت معجزة الإسلام الوحيدة هى البلاغة وسلاحه القاطع هو التحدى ، ثم كانت من معارك الدعوة النبوية العظمى معركة الشعر . نشبت بين حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة من شعراء الإسلام ، وبين عبد الله بن الزبعرى وأبى سفيان ، وعمرو بن العاص من شعراء الشرك ، فلما اصطدمت الدعوة بالعناد ، ووضع المشركون فى طريقها السيف ، أمر الرسول بالجهاد فكانت الثورة وكان الفتح وكان السلام ، واستمر الأدب يؤازر الثورة كما آزر النهضة ، فكان يشجع القلوب بالشعر ويحمس الجنود بالقصص ، ويريض الأمور بالخطابة ، حتى ظهر الإسلام على الدين كله وتم نوره فى الشرق كله .

هذا إجمال القول فى النهضة العربية فى القرن السادس ، مهد لها الأدب ، ومهدت هى للإسلام ، وأتم الإسلام الألفة بين القلوب والوحدة بين القبائل ، ثم أشعل الثورة على الوثنية والارستقراطية والفساد حتى طهر الأرض وحرر الناس ، ومدن العالم .

أما نهضة العرب الأخرى فى القرن العشرين وأثر الأدب فيها فهى موضوع المقال التالى .

احمد حسن الزيات

---

## فى الإسلام

« ... الإسلام يريد أن يكون الخلفاء والولاة أمناء الناس على حقوقهم ، وأموالهم ومرافقهم ، يديرونها عن ملأ منهم ، وعن مشاورة ومؤامرة ، ويمضونها فى غير تجبر ولا تكبر ، ولا أثرة ولا استعلاء ، ويديرونها كذلك لا على أنهم سادة يمتازون من الناس بأى لون من ألوان الامتياز ؛ بل على أنهم قادة يثق الناس بهم ويطمئنون إليهم ، ويرونهم كفاءة للقيام على أمورهم ، فيعهدون إليهم بهذه الأمور عن رضا واختيار ، لا عن قهر أو استكراه . ثم يراجعهم فى هذه الأمور من شاء منهم أن يراجعهم فيها ، فإن استبان لهم أنهم أخطئوا كان من الحق عليهم أن يعودوا إلى الصواب ، وإن استبان لهم أنهم انحرفوا كان من الحق أن يستقيموا على الطريقة ... وعلى هذا النحو .. مضى النبى صلى الله عليه وسلم حتى إذا اختاره الله لجواره مضى خلفاؤه على سنته ... » .

( طه حسين )

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# حكمة العيد وما شرع له

## لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون
## شيخ الجامع الأزهر

وجه الإمام الأكبر فضيلة الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الأزهر تلك الكلمة الطيبة للمسلمين فى استقبال عيد الفطر المبارك :

---

أيها المسلمون : باسم الله أحييكم ، فى اليوم الذى حياكم الله به فجعله لكم عيداً تستقبلونه بالبهجة ، والانشراح ، وتيمنونه فى الزينة والبهاء ، تتزاورون فى صفاء ، وتلتقون فى ولاء ، تتهادون فى سخاء ، وتتوادون فى وفاء ، وتتعاونون فى أريحية ، وتتكافلون بالعطية ، كلكم باسم الثغر ، منطلق الأسارير ، طروب القلب ، تتجلى صفاء نفسه على جوارحه بشاشة تلاق ، وحرارة عناق ، وعذوبة تحلب ، ورائق مجاملات ، وهكذا يريدكم الله دائما كل وقت ، كلكم سعيد ، وكل يوم فى حياتكم عيد ، ولا يتم لكم أيها المسلمون ذلك إلا إذا فهمتم حكمة العيد وما شرع له ، ورعيتم سره ، وما يقصد منه ، فالعيد فى الإسلام يختلف عن العيد فى غيره : فكرة وهدفا وحكمة ومزية . فالأعياد فى الأمم قد تكون للترفيه المجرد الذى يمكن الناس من حرية لا تنال فى جد الحياة ، وكفاح العمل ، وقد تكون لاستقبال أحداث جميلة تمر بالأمة . فيصيبها منها خير وبركة ونعمة وازدهار .

وقد تكون استعادة لذكريات سارة لها فى ضمير الأمم إكبار لما لها فى حياتها من آثار كحرية نيلت بعد نضال ، أو استقلال استخلص من احتلال ، أو نصر مؤزر على عدو ظالم ، وعدوان غاشم ، وكل هذه الأعياد ترجع لسبب واحد تعتبره الأمم كل عام ، وتتكرر فكرته الواحدة على الدوام ، ولكن أعياد الإسلام تميزت عن كل الأعياد ، بتجدد دواعيها ، فمع كل عيد مبررات الفرح به والبشاشة له والانشراح فيه ، فعيد الفطر الذى تستقبلونه اليوم يمثل الجزاء العاجل لمن قام بالواجب ، فمن حق المؤمن أن يفرح فيه لأنه أطاع أمر ربه ، فكف نفسه عن الشهوات ، وجاهد عادته بالجوع لتصفو ، وبالظمأ لتشرق ، وأصلح من مضغة قلبه فكف عن محارم ربه ، واستطاع أن يعيش شهراً كاملا صائم النهار ، قائم الليل ، مهذب النفس ، مثالى السلوك ، نقى السر رقيق الجهر ، جميل الفعل ، سخى البذل يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ، فمن حقه أن يفرح لأنه انتصر على النفس ، وتغلب على الشيطان ، وأدى الواجب كما طلب منه ، ونفذ الأمر كما وجه إليه وإذا كان هذا فرحه بفطره . فكيف تكون فرحته بلقاء ربه .

أيها المسلمون : إنكم بهذا تستطيعون أن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



تجعلوا كل حياتكم إسعاداً ، وتصيروا كل أيامكم أعياداً ، وذلكم يكون باستدامة طاعة ربكم ، والمجاهدة الدائمة لنفوسكم حتى تجدوا بعد كل طاعة فرحـــة ، ومع كل امتثال سروراً ، وعند كل جهاد عزة ، ومع كل كفاح راحة ، وبهذا تكونون أهلا لفروضات الله الدائمة ، وتجلياته المتتابعة وتصيرون أحقاء بعودة الله ، جديرين بمعيته فى كل الشئون ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

أيها المسلمون : لقد عرفتم فى رمضان تعالى الإيمان ، فلا تضلوا منه ، ولا ترجعوا عنه وإلا فغيرة الله على حدوده ومحارمه فى كل زمان ، ولا يتميزها رمضان عن غير رمضان ، فاستبقوا فضائله فى نفوسكم ، وآثاره فى سلوككم واجعلوا منه رياضة على التقوى طيلة عامكم فقد كرره الله كل عام ليجدد لليقين طاقته ، ويقوى للمؤمن عزيمته ، وإياكم أن تفسدوا على نفوسكم حكمة الله فى العيد فتجعلوا فرحه لهوا ، وبشره لعبا ، ونيته تفاخراً ، وإحسانه إساءة وأشعروا بفرحة العيد كل بائس ، وأدخلوا نعمة الأمل على كل يائس ، ولا تحرجوا فقيراً إلى ذل مسألة ، ولا تلجئوه إلى خجل مظهره وصلوا الأرحام التى قال فيها الرحمن : من وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته ، وكونوا للأيتام أبا بالإحسان إليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ، وليجد المكدودون عندكم راحتهم ، والضعفاء عندكم قوتهم ، واجعلوا شكر نعمة الله عليكم بركم بعياله ، وبهذا تنعمون بمجتمع سعيد فاضل متكافل متكامل يتوجه بكل طاقاته لإمجاد أمته وإعزاز ملته .

أيها المسلمون : إن هذا العيد لا يدرك فرحته ، ولا يحس البشريه إلا من قدم على هذا الجهاد من الصيام الحق ، والقيام الصدق والسلوك الورع ، أما من أسرف على نفسه وخالف عن أمر ربه فإنه يستقبله بحسرة ولا تغنى ، وندم ولا يفيد ، تنقبض نفسه حين يرى انبساط المطيع ، وتكون مظاهر السرور فى عينيه قذى ونعمات الهنائى فى أذنيه جنادل فيندك كبرياؤه ، ويحتقر نفسه ، وهكذا يكون ذل المعصية أمام عز الطاعة وخزى الضلال أمام جلال الامتثال ، وتخاذل البغى أمام شموخ الهدى .

أيها المسلمون : قبل الله صيامكم وقيامكم ، وألزمكم كلمة التقوى ، وأصح منكم العلن والنجوى ، وحياكم بتحياته الطيبات المباركات ، وجعل فى وقوفكم بين يديه لصلاة العيد قرة عينكم ، وانشراح صدوركم وجعل تكبيركم له شارة حياتكم ، ورمز جهادكم فادعوه وأنتم ساجدون له : أن يوفق المسلمين فى جميع البقاع ، إلى أحسن القول وخير العمل ، وأن يحقق لهم كل ما يصبون إليه من أمل ، وأن يمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وأن يوفق قادتهم إلى جمع كلمتهم حتى يتغلبوا على الأحداث ويردوا سهام أعدائهم إلى نحورهم .

وختاما أهنئكم أيها المسلمون فى كل قطر وكل عام وأنتم بخير ؟

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# هيا إلى العيد الأكبر

للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

---

فى يوم من الأيام استدعى سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ابنه ليسير معه قليلا ، وبينما هما سائران ، خاطبه فى صراحة صريحة قائلا :

« يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك ، فانظر ماذا ترى » .

فى هذا الإقليم الذى كانت الوالدة الحنون ، تسعى فيه محزونة حيرى مشفقة تبحث عن قطرات من الماء ، تحيى بها نفس هذا الغلام - الذى كان طفلا إذ ذاك - حتى لا يموت بين يديها ظمأ ..

فى هذا الإقليم الذى أنقذ الله الطفل وأمه فيه ففجر الماء نبعا صافيا : فشرب الطفل ، وشربت أمه وحمدت الله وشكرته .

فى هذا الإقليم ، حاولت الأم جاهدة أن تحمى ابنها ، وفى هذا المكان نفسه حاول الأب ذبحه استجابة للنداء فى الرؤيا .

سبحانك ربى !!! أتنقذه صغيراً ، وتستبقيه قرة عين والديه : حتى تغلغت محبته فى القلوب ، وغمرت كيان والديه : تأمر بذبحه ، أشد ما يكون الوالدان حرصا عليه ، ومحبة له ؟

وما ذنب هذا الغلام البرىء ؟

وما ذنب أمه ؟

وماذا جنى والده ، يختطف منه وقد أتاه على كبر ، وبشر به من لدن الله ، بشر به من مع وصفه بالحلم ، والحلم سيد الأخلاق ، فقال تعالى عنه : « وبشرناه بغلام حليم » .

إن حكمة الله فوق كل حكمة ، وتقديره ، سبحانه ، فوق كل تقدير . وما ذلك الأمر فى الرؤيا إلا أسلوب من أساليبه ، سبحانه ، فى التربية : يخص به الذين اصطفى من عباده : « إن الله اصطفى آدم ، ونوحا ، وآل إبراهيم ... » .

وهذا الاصطفاء يقتضى صفاء وتصفية وإسلاما كاملا لله سبحانه ، ولقد أسلم إبراهيم عليه السلام ، نفسه وقلبه ، وجمع كيانه لله سبحانه ، ونجح نجاحا كاملا ، فيما اختبره الله به من ألا يشرك مع الله أحداً فى الحب حتى ولو كان ابنه ؛ حتى ولو كان هذا الابن أتى على لهفة وشوق إليه .

ها هو ذا يفرد الله بالمحبة ، ويستعد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



للتضحية بابنه ، لا يتردد ، ولا يتباطأ . وإذا كان قد قال لابنه : « فانظر ماذا ترى ؟ » .

فما كان ذلك تخييرا للابن ، وإنما هو رغبة من الشيخ المؤمن فى أن يستجيب ابنه : طوعا لا كرها : فيكون الثواب والجزاء الحسن . لقد استجاب الشيخ وأسلم وجهه لله ، فكان بذلك مسلما . فما هو موقف الابن ؟

لقد حقق الابن أمل والده ، فأجاب فى غير تردد ولا تباطؤ : « يا أبت افعل ماتؤمر ، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين » .

لقد أسلم الابن : أسلم وجهه لله ، طمعا فى رضائه . وأحب رضاء الله ، فوق حبه لنفسه ، ولحياة الدنيا بأسرها ...

فلما أسلما إسلاما خالصا صافيا مطلقا : جاء الفداء من الله ، سبحانه ، فناداه :

« يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا : إنا كذلك نجزى المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم » .

هذا الإسلام إنما هو لله سبحانه وتعالى وحده ؛ هذا هو الإسلام الذى استتبع الفداء ؛ هذا هو الإسلام الذى يستتبع حتما الفداء فى كل عصر ، وفى كل مصر ، هذا هو الإسلام الذى ينطوى فيه الإنسان انطواءاً كليا تحت الراية الإلهية فيكون فى حماية الله ورعايته ، وعنايته : هو الذى يسجل بحفل تذبح فيه الذباح يأكل منها البائس والفقير ، وتصنع منها موائد شهية تقدم للآكلين شكراً لله على هذه الهداية ، وهذا التوفيق الذى كانت نتيجته : « الإسلام » .

إن هذا الدين الذى كل فى القلب نغمره بالنور ، وهذه النعمة التى أتمها الله ، وهذا الإسلام الذى رضيه سبحانه ... إن كل ذلك : لا بد له من عيد بل أعياد تعبر عن الشكر ، وعن الحمد ، وبمقدار قرب الإنسان من معنى الإسلام يكون عيده الأكبر . ولكل إنسان عيده بمقدار إخلاصه لله ، وخشيته منه ، وخضوعه له ، وعبوديته الصافية أو المشوبة .

ما هى الوسيلة الكبرى التى تنتهى بها إلى العيد الأكبر ؟ .

إن من بين الوسائل الكثيرة التى بينها الله لتنتهى بالإنسان إلى الإسلام ... ثم إلى العيد - إن أسلم حقا - وسيلة كبرى هى : « الحج » .

وما من شك فى أن العيد هو أولا وبالذات ، لحجاج بيت الله الكرام ، وهو على الخصوص لمن أسلم - فى الحج - إسلاما صحيحا منهم ؛ وبمقدار تصحيح الدين ، وتصحيح الإسلام : يكون العيد .

وإذا كانت الأمة الإسلامية كلها :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



تحتفل فرحا بالعيد ، فإن ذلك : إنما هو احتفال بهذه النخبة النادرة الفليلة ، التي كمل دينها ، وتمت نعمة الله عليها ، وغمرها نور الإسلام .

أما هذه الوسيلة الكبرى للإسلام الخالص ، وبالتالي العيد - أعني الحج - فإنها تبدأ أول ما تبدأ بالتوبة النصوح الصادقة ، ودعاء الله أن يجعل حجه خالصا لوجهه الكريم . ومنذ هذه اللحظة يقطع صلته بالماضي الآثم ليبدأ مستقبلا صالحا كريما . وتبدأ شعائر الله في الحج بالإحرام : فيغتسل الإنسان ، وينوي غسل الإحرام ، ويتم له بذلك الاغتسال الباطني بالتوبة النصوح والاغتسال الظاهري ، إنه أصبح من المتطهرين ، وتثبيتا لذلك وعلامة على انقطاع صلته بالماضي ، وتجردا إلى الله : يفارق الثياب المخيطة ، ويلبس ثياب الإحرام : بيضاء ، ناصعة ، ثم ينوي ( الإحرام بالحج ) ومعنى ذلك : أنه أصبح خالصا لله ، مستجيبا إلى ندائه الكريم بأن : لا يتجه إلى سواه ، فينطق فؤاده ، وتنطق جوارحه : ( لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك : إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ) هاهو ذا الآن قد لبى : أي : استجاب إلى الله ، ونفى الشريك عنه سبحانه وقصر الحمد عليه واستقر في كيانه : أن ما به من نعمة فمن الله ، وأن الملك كله لله ، والدنيا والآخرة ، الملك والملكوت له سبحانه : لا شريك له . هذه التلبية هي شعاره الدائم ، هي سنته المستقرة ، ينطق بها إذا صعد ، وينطق بها إذا هبط ، وينطق بها إذا ركب ، وينطق بها إذا نزل ، إنها ذكر في كل لحظة ، فتصبح بذلك يقينا تاما .

حتى إذا ما انتهت به الأسفار إلى بيت الله الحرام ، ودخل المسجد قال هذه الكلمات التي تعبر عن التلبية بصورة أخرى وهي : « بسم الله ، وبالله ، ومن الله ، وإلى الله ، وفي سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ويبدأ الطواف ببسم الله ، والله أكبر ، ها هو ذا يطوف بالبيت راجيا أن ينال نظرة من رب البيت : لعل الباب يفتح ، ولعل الأستار ترتفع ، لعل الأقنعة تتكشف فتزول ، لعل نسمات الرحمة تهب ، لعل رب البيت يأذن بالدخول ، لعل الرضا الكريم يغمر الأجواء والآفاق ، لعل الله يتقبل : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

ويبدأ السعي بين الصفا والمروة ، يبدأ ببسم الله ، والله أكبر : إنه يسعى امتثالا لأمر الله ، ويسعى وهو متذكر تلك السيدة الكريمة التي كانت تسعى في طلب الماء رحمة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



بابنها : إنه يسعى طلبا للنبع الصافى الذى يتفجر من قلبه رحمة وإخلاصا : إنه يسعى ليشرب من الكأس التى يشرب منها الأبرار إنه يسعى ليشرب من العين التى يشرب بها عباد الله ، إنه يسعى فيمتلىء قلبه بالرحمة ، فيجد العين الصافية التى وجدها كل من حقق هدف الرسالة المحمدية « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ويجدها كل من قبل هدية الله إلى العالم ، وهدية الله إلى العالم : إنما هى سيدنا المصطفى صلوات الله عليه ، ورحمته وبركاته ، فقد قال :

( إنما أنا رحمة مهداة ) .

إنه : صلوات الله عليه يمتزج بهذه الصفة الكريمة فيكون معها وحدة ، فهو رحمة ، وهو رحمة مهداة ، قبلها من قبلها : ففاز فى الدنيا والآخرة :

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا » .

( والحج عرفة ) كما يقول صلوات الله عليه ، وفى عرفة تجتمع الأرواح وقد تزكت بالتوبة والإحرام ، والطواف ، والسعى : تتجه إلى الله فى ضراعة . وتدعوه سبحانه ، فى خضوع وتقف شاخصة ببصرها إلى السماء فى خشوع طالبة من الله الرحمة العامة الشاملة ، والرحمة الخاصة المنجية .

إن ربى قريب مجيب . إن ربى رحيم ودود . وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون .

أما بعد : فإن أعمال الحج فى أشهر الحج : تنتهى بهذه الصورة الرائعة صورة العزم المصمم على الابتعاد المطلق عن الإثم والمعصية ممثلة هذه الصورة فى رجم إبليس مصدر الشر والإثم : إن الحج ينتهى بقتل إبليس بالرجم - أو بتعبير أدق - ينتهى بقتل الشر حتى لا يتسلل مرة أخرى إلى النفس .

وأما بعد : فيقول صلوات الله عليه :

( من حج فلم يرفث ، ولم يفسق ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ) فإذا ما خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه : استحق أن يحتفل بالعيد ، وأن يهنأ بالعيد ... وها نحن أولاء قد عرفنا الطريق إلى العيد فهيا بنا نسلكه أيها المسلمون « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه » .

( اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا ) .

وبالله التوفيق ؟

عبد الحليم محمود

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# التثليث والصلب والقيامة والفداء
## وظائرها في الفلسفات والأديان السابقة

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

ترجع أهم الأصول التي تقوم عليها المسيحية الحاضرة إلى العقائد الآتية :

١ — ألوهية المسيح ، وقد استقرت هذه العقيدة في المسيحية بعد مجمع نيقية الأول الذي انعقد بأمر قسطنطين أمبراطور الرومان سنة ٣٢٥ ميلادية ، وذلك أن الفرق المسيحية قبل هذا المجمع لم تكن على رأي واحد فيما يتعلق بشخصية المسيح ، فبعضها كان يقول بألوهيته ، وبعضها كان يقول ببشريته ، وكان على رأس الفرق القائلة ببشريته أتباع أريوس ، وفي سنة ٣٢٥ ميلادية أمر قسطنطين أمبراطور الرومان بأن يعقد مجمع « مسكوني » أي مجمع يضم ممثلين لجميع الكنائس في العالم المسيحي ، يفصل أمر الخلاف بين أريوس ومعارضيه ، ويتخذ ما ينبغي اتخاذه من قرارات أخرى في شئون العقيدة والشريعة ، فاجتمع في نيقية ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة ، ولكنهم لم يستطيعوا الإجماع على رأي ، ويظهر أن قسطنطين كان يجنح للرأي القائل بألوهية المسيح ، فاختار من بين المجتمعين ثمانية عشر وثلثمائة من أشد أنصار هذا المذهب ، وألف منهم مجلساً خاصاً ، وعهد إليهم بأمر الفصل في هذا الخلاف واتخاذ ما يرون اتخاذه من قرارات أخرى في الشئون الدينية ، على أن تصبح قراراتهم مذهباً رسمياً يعتنقه جميع المسيحيين فانتهوا إلى عدة قرارات كان من أهمها القرار الخاص بألوهية المسيح وتكفير أريوس وحرمانه وطرده من هيئة الكهنوت : ( فقد كان أريوس حينئذ قسيساً بكنيسة الإسكندرية ) ، وتكفير كل من يذهب إلى أن المسيح إنسان وحرق جميع الكتب التي تتضمن هذا الرأي وتحريم قراءتها .

وكان من أشد أنصار هذا القرار والداعين إليه بطريرك الإسكندرية

ومنذ ذلك الحين أصبح هذا الرأي عقيدة رسمية للدين المسيحي ، وأخذت المعتقدات الأخرى تتقرض شيئاً فشيئاً تحت تأثير ما كان يتعرض له أصحابها من اضطهاد وعذاب ، حتى انقرضت جميعها فلا توجد أية فرقة مسيحية لا تقول بألوهية المسيح . فهم الآن يعتقدون : أن الابن أو الكلمة أصل إلاهي ، وأن هذا الأصل قد تجسد في جسم المسيح ، وكل ما بينهم من خلاف في الوقت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



الحاضر فى هذا الصدد يرجع إلى فهم هذا التجسد وما أضافه إلى الطبيعة الإلاهية الأولى ، فبعضهم يذهب إلى أن المسيح ليست له إلا طبيعة واحدة ومشيئة واحدة ، وهما الطبيعة الإلاهية والمشيئة الإلهية ، وأن هذا التجسد لم يضف شيئا إليه ؛ وهذا هو رأى ثلاثة كنائس أرثوذكسية وهى : الكنيسة المصرية المرقسية ، والكنيسة السريانية والكنيسة الأرمنية . وبعضهم يذهب إلى أن المسيح له طبيعتان ، طبيعة إلهية ، وطبيعة إنسانية ، أى اجتمع فيه اللاهوت والناسوت بحسب تصورهم ، ولكن ليست له إلا مشيئة واحدة وهى المشيئة الإلاهية ، لالتقاء الطبيعتين فى أقنوم إلهى واحد ؛ وهو الابن أو الكلمة ؛ وهذا هو رأى كنيسة صغيرة هى كنيسة الموارنة ( أتباع يوحنا مارون ) بلبنان ، أما ما عدا هؤلاء وأولئك من المسيحيين فيذهبون إلى أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين ؛ فهو يعمل ما يشبه الإله أن يعمل فى طبيعته ، وما يشبه الإنسان أن يعمل فى طبيعته ؛ وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتها بمشيئتين غير متضادتين .

٢ — ألوهية روح القدس : وقد استقرت هذه العقيدة فى المسيحية بعد المجمع القسطنطينى الأول ، وذلك أن الفرق المسيحية قبل هذا المجمع لم تكن على رأى واحد فيما يتعلق بطبيعة روح القدس ، فبعضها كان يذهب إلى القول بأنه حادث مخلوق .

وكان من أشهر الفرق التى ذهبت إلى القول بحدوثه أتباع مقدونيوس ، الذى كان بطريرك القسطنطينية فى القرن الرابع الميلادى فاجتمع من أجل ذلك فى القسطنطينية سنة ٣٨١م مجمع آخر اشتهر باسم المجمع القسطنطينى الأول ، وكان عدد أعضائه مائة وخمسين أسقفا ، وانتهى إلى إقرار الرأى القائل بألوهية روح القدس ، وكانت كنيسة الاسكندرية من أشد الكنائس تعصباً لهذا الرأى ، كما كانت من أشدها تعصباً للرأى القائل بألوهية المسيح .

وكان لأقوال بطريرك الاسكندرية والحجج التى أدلى بها فى هذا المجمع أثر كبير فى توجيهه إلى هذا القرار ، ويصف ذلك ابن البطريق ( وهو مسيحى من رجال القرن الثالث الهجرى ) فيقول : « قال تيموثاوس بطريرك الاسكندرية فى هذا المجمع : ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله ؛ وليس روح الله شيئا غير حياته ؛ فإذا قلنا : إن روح القدس مخلوق ، فقد قلنا : إن روح الله مخلوق ؛ وإذا قلنا : إن روح الله مخلوق فقد قلنا : إن حياته مخلوقة ؛ وإذا قلنا : إن حياته مخلوقة ؛ فقد زعمنا أنه غير حى ؛ وإذا زعمنا أنه غير حى ، فقد كفرنا ؛ ومن كفر به وجب عليه اللعن ، واتفقوا على لعن مقدونيوس

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



فلعنوه هو وأشياعه ... وبذلك زادوا في الأمانة التي وضعها الثلثمائة والثمانية عشر أسقفا الذين اجتمعوا في نيقية - الإيمان بروح القدس الرب المحي .

وقد أصبح هذا الرأى عقيدة رسمية للدين المسيحي ، وأخذت المذاهب القائلة بحدوث روح القدس تنقرض شيئا فشيئا حتى انقرضت جميعها ، فلا توجد الآن أية فرقة مسيحية لا تقول بألوهية روح القدس ، وكل ما بينها من خلاف في الوقت الحاضر في هذا الصدد يرجع إلى تحديد الأصل الإلهي الذي انبثق منه روح القدس ، فالكنيسة الغربية الكاثوليكية التي يرأسها بابوات روما تذهب إلى القول بأن : روح القدس منبثق عن الأب والابن معا ، بينما تذهب الكنيسة الشرقية اليونانية التي يرأسها بطاركة القسطنطينية ( ويطلق عليها كذلك كنيسة الروم الأرثوذكس ) إلى أنه منبثق عن الأب وحده .

٣ — عقيدة التثليث ، وبعد إقرار ألوهية المسيح وألوهية روح القدس أصبح الإله في المسيحية عبارة عن ثلاثة أقانيم أي أصول ، وهي الآب ( أو الأصل ) والابن ( أو الكلمة ) وروح القدس ، والأقنوم الثاني : وهو الابن أو الكلمة هو الذي تجسد في المسيح من التقاء روح القدس بمريم العذراء ، وهذه الأقانيم قديمة كلها وإن كان بعضها منبثقا عن بعض ، وذلك أن انبثاق بعضها عن بعض ليس انبثاق توالد ، بل انبثاق تلازم كانبثاق الضوء عن الشمس .

٤ — صلب المسيح وقيامته ورفعه : يجمع المسيحيون في الوقت الحاضر وتجمع أناجيلهم الأربعة المعتمدة لديهم ، على أن المسيح قد تآمر عليه الفريسيون من اليهود والحكام من الرومان ، وساعدهم في مؤامرتهم هذه يهوذا الإسخريوطي ، الذي كان أحد حواري المسيح الاثني عشر ، ثم خان عهده وأرشد هؤلاء إلى مكانه وإلى شخصه ، وأن هذه المؤامرة قد انتهت بالحكم على المسيح بالإعدام صلبا فصلب ثم دفن ، وأنه قام من قبره بعد ثلاثة أيام من دفنه (وهذا هو ما يعبر عنه المسيحيون بالقيامة ، ويحتفلون به في عيد يسمى عيد القيامة ) وأنه ظل بعد ذلك مع حواريه المسيحيين وتلاميذه وأنصاره أربعين يوما يعلمهم ويرشدهم ، ثم رفع إلى السماء وجلس على يمين أبيه ، يصرف شئون العالم ، وأنه سيتولى هو يوم القيامة حساب الناس على ما فعلوه في الحياة الدنيا .

٥ — عقيدة الفداء أو الخلاص : يجمع المسيحيون في الوقت الحاضر وتجمع أناجيلهم الأربعة المعتمدة لديهم أن المسيح قد صلب ليكفر بذلك عن الخطيئة الأزلية ، وهي الخطيئة التي ارتكبها آدم إذ عصى ربه وأكل من الشجرة ، فانتقلت الخطيئة بطريق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



الوراثة إلى جميع نسله ، وكانت ستظل عالقة بهم إلى يوم يبعثون لولا أن افتداهم المسيح بدمه فنى صلبه كان الخلاص للآدمين .

* * *

وغنى عن البيان أن هذه العقائد دخيلة فى المسيحية ويظهر أنها قد وفدت إليها من فلسفات قديمة ومن رواسب أديان ومعتقدات كانت سائدة فى البلاد التى انتشرت فيها المسيحية والتى احتك بأهلها المسيحيون ومن أهم الفلسفات والأديان التى تتضمن أشباها ونظائر لهذه العقائد ويحتمل أن تكون المسيحية قد تأثرت بها كلها أو بعضها الفلسفة الأفلاطونية والفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، والديانة البرهمية والديانة ، البوذية والديانة اليونانية القديمة .

١ — أما الفلسفة الأفلاطونية . فكانت تذهب بصدد الألوهية إلى أن الله تعالى قد وضع بينه وبين العالم وسيطين يعتبران دونه وخارجين عنه ، وعلى نحو ما داخلين فيه ، أى تتضمنهما ذاته ، صادرين عنه ، دونه فى الكمال ، وبذلك أصبح ممكنا ، عن طريق هذين الوسيطين ، أن يصدر عن الله الواحد الكامل ـ البرىء من التغير ـ هذا العالم الكثير الناقص المتغير ، وأول هذين الوسيطين العقل وثانيهما الروح الإلهى . وبذلك أصبح الإله فى نظر أفلاطون ثلاثة أصول أو أقانيم : أولها : هو مصدر كل كمال ويحوى فى وحدته كل الكمالات ، وهو يقابل ما يدعوه المسيحيون الآب ؛ والثانى : هو العقل : وهو يقابل ما يدعوه المسيحيون الابن أو الكلمة ؛ والثالث : هو الروح الإلهى : وهو ما يدعوه المسيحيون روح القدس .

فالتشابه ، بل التوافق ، واضح بين أقانيم أفلاطون والأقانيم المسيحية فى طبيعتها ، بل فى أسمائها نفسها . وكل ما بينهما من فرق ينحصر فى أن أقانيم أفلاطون ليست فى نظره سواء فى الجوهر والرتبة ، بينما هى متساوية عند المسيحيين ، فالابن الذى يتولد من الآب لا يمكن فى نظرهم أن يكون أدنى كمالا منه ، وإلا صار من طبيعة الكامل أن يصدر اضطرارا عنه غير الكامل ، وهذا حط من رتبته ، وكذلك روح القدس فهو عندهم مساو للآب والابن . ومعروف أن أفلاطون قد ظهر قبل المسيح بأكثر من أربعة قرون ( ٤٢٩ - ٣٤٧ قبل الميلاد ) ، وأن نظريته هذه كانت سائدة لدى اليونان والرومان الذين انتشر بينهم الدين المسيحى . فكأنهم لم يعتنقوا هذا الدين إلا بعد أن طوعوه لتفكيرهم وصبغوه بألوان فلسفاتهم .

٢ — الفلسفة الأفلاطونية الحديثة : وذلك أن أفلوطين ( ٢٠٥ - ٢٧٠ م ) زعيم مدرسة الإسكندرية ، وهى المدرسة التى تنسب إليها الفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، كان يرى فيما يتعلق بالكون ومنشئه أن الله هو منشئ الأشياء لا يتصف بوصف من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



أوصاف الحوادث ، فليس بجوهر ولا عرض ، وليس فكرا كفكرنا ، ولا إرادة كإرادتنا ، يتصف بكل كمال يليق به ، ويفيض على كل الأشياء نعمة الوجود ، ولا يحتاج هو إلى موجد ؛ وأن أول شيء صدر عن هذا المنشئ هو العقل ، وقد صدر عنه كأنه يتولد منه ، ولهذا العقل قوة الإنتاج ، ولكن ليس كمن يولد عنه ؛ ومن العقل تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح ، وعن هذا الثالوث يصدر كل شيء ، ومنه يتولد كل شيء .

فوجه الشبه واضح كل الوضوح بين هذا المذهب من جهة وعقيدة التثليث التي استقرت عليها المسيحية من جهة أخرى .

وإذا لاحظنا أن هذا المذهب كان منتشراً ومعروفا قبل مجمع نيقية بأمد طويل ، وأنه كان المذهب الفلسفي لمدرسة الإسكندرية ، وأن بطريارك الإسكندرية الذي نشأ في البيئة التي ساد فيها هذا المذهب كان من أكبر المدافعين عن عقيدة التثليث في مجمع نيقية وفي المجمع القسطنطيني الأول كما تقدم بيان ذلك ، إذا لاحظنا هذا كله ترجح الاحتمال الذي ذكرناه : وهو أنه يظهر أن العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة .

٣ — الديانة البرهمية في أوضاعها الأخيرة : وذلك أن الديانة البرهمية قد تقررت أوضاعها في آخر الأمر على الاعتقاد بتثليث الآلهة وصلب الإله وتقديم نفسه ذبيحة لتخليص الإنسانية من خطاياها ، أي على العقائد نفسها التي استقر عليها الدين المسيحي ، غير أن ثالوثها يختلف عن ثالوث المسيحيين في نشأة كل أقنوم من أقانيمه وعمله وصفاته ؛ ونظريتها في الخلاص والفداء تختلف كذلك بعض الاختلاف عن نظرية المسيحيين .

وذلك أنها تقرر أن الإله براهما كان قبل الوجود ، وأنه خلق العالم وسمى نفسه الخالق ثم انبثق الإله سيفا ، وهو الإله المدمر الموكل بالخراب والفناء ، ولو ترك هذا الإله وشأنه لفنيت السماوات والأرض ومن فيهن . ولهذا انبثق من براهما إله ثالث حافظ مجدد هو الإله فيشنو أو كريشنا . وهذا الإله الأخير قد خلص بني الإنسان بتقديم نفسه للصليب فداء عنهم . ومن ثم يصورونه مصلوبا مثقوب اليدين والرجلين ، وعلى قميصه صورة قلب إنسان معلق

فوجوه الشبه واضحة كل الوضوح بين هذه العقائد ، وما استقر عليه الدين المسيحي . فإذا لاحظنا أن البرهمية قد انتشرت في بلاد الهند وغيرها قبل ظهور المسيحية بنحو خمسة عشر قرنا ، وأن عقائدها قد تركت آثاراً واضحة في كثير من الأديان والنحل اللاحقة لها في مختلف أرجاء العالم ، ترجح ما ذكرناه من احتمال تأثر المسيحية الطارئة في عقائد التثليث والصلب والفداء بالدين البرهمي القديم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



٤ — الديانة البوذية فى أوضاعها الأخيرة : وذلك أن الديانة البوذية قد استقرت كذلك فى آخر الأمر على الاعتقاد بألوهية بوذا ، وأنه الابن الوحيد ، وأنه تجسد فى الناسوت وقدم نفسه ذبيحة ليكفر عن ذنوب البشر ، ومن ثم يسمونه : المسيح والمخلص والابن .

ولا يخفى ما بين هذه العقائد ونظائرها فى المسيحية من تطابق يكاد يكون كاملا . وهذا يرجح احتمال تأثر المسيحية الطارئة فى عقائد الابن والصلب والخلاص بالديانة البوذية التى ظهرت قبلها بنحو خمسة قرون .

٥ — الديانة اليونانية القديمة : تزعم الأساطير اليونانية أن الإله بروميثية ( بروميثيوس ) هو إله النار وخالق الإنسان وحاميه ومؤسس حضارته وأنه صلب فى سبيله وذلك أنه لما طرده رئيس الآلهة جوبتير من السماء وهبط إلى الأرض وقف حياته على العناية ببنى الإنسان ، فعدل صورهم ، وأصلح حواسهم ، ووهبهم العقل والتفكير وعلمهم مالم يكونوا يعلمون . ورأى أن النار تعوزهم فاختلسها من السماء وأهداها لهم ؛ فأصبحت حظاً مشاعا بينهم وبين الآلهة ، وكانت مصدر حضارتهم ، وقد أثارت فعلته هذه نقمة جوبتير فصلبه على صخرة فى جبال القوقاز . ولكن بروميثيه — وهو الإله قد كتب له الخلود — لم يكن الصلب بمستطيع إهلاكه . فلم يسع جوبتير إلا أن يفكر فى عذاب يلازمه أبد الآبدين . ووكل تنفيذ ذلك إلى ابنه هيفيستوس وإلى نسر من النسور الجارحة . أما هيفيستوس فقد كلف عمل قطع سجاة من الحديد يغرسها الفيئة بعد الفيئة فى بروميثيه . وأما النسر فقد كلف أن ينقض على بروميثيه فيمزق أحشاءه بمخالبه ، وينهش كبده ؛ فإذا ما بدل كبدا وأحشاء أخرى عاد إليه النسر ضحى اليوم التالى فكرر فعلته معه... وهكذا دواليك حتى قيض له الإله هيركول ( هرقل ) فكانت قيامته ونجاته على يديه .

ولا يخفى ما بين هذه الأسطورة وأسطورة صلب المسيح من اتفاق فى كثير من العناصر . فجبل القوقاز الذى صلب فيه بروميثيه يقابل جلجثه ( أو الكالفير ) الذى تقول أناجيلهم : أن المسيح قد صلب فيه ؛ وصلب بروميثية فى سبيل بنى الإنسان يقابله ما يقول المسيحيون من صلب المسيح لتخلص بنى آدم من الخطيئة الأزلية ... الخ — وقد حاول الفلاسفة من آباء الكنيسة أن يبرروا هذا التشابه العجيب بين أسطورة كانت رائجة فى عقائد اليونان قبل المسيحية بعدة قرون وما يقولونه فى صدد المسيح ، فذهبوا إلى أن أسطورة بروميثيه ليست إلى مظهرا من إرهاصات المسيح وتبشيرا بمجىء المخلص للعالم ألهمت به الوثنية اليونانية إلهاما .

دكتور على عبد الواحد وافى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# التطورات التشريعية للطلاق

للأستاذ محمد محمد المدني

## أحكام أخرى تتصل بالطلاق

### ٧ — (ختام البحث)

بقى بعد ما ذكرناه فى الفصول السابقة أحكام أخر من شأنها أن تحد من كثرة الطلاق ، وأهمها :

**١ — إيقاع الطلاق أمام القاضى أو بمراقبته :**

١ — الصيغ التى اعتبرها الشارع لا بد أن تؤدى مقتضياتها ما دامت قد صدرت ممن يملكها مستوفية شروطها ، وهذا حكم شرعى مجمع عليه بين العلماء ، ومن بين ذلك صيغة الطلاق فاذا أوقع الزوج على زوجته طلاقا توافرت فيه الشروط المعتبرة شرعا ، فلا بد من وقوعه ، سواء أكان ذلك أمام القاضى ، أم كان بعيداً عنه ، وسواء أكان بإذنه أم بغير إذنه ، فالطلاق حق مباح للزوج فى الحدود التى رسمها الشارع له ، وقد استعمل حقه ، فليس للقاضى ، ولا للشرع الوضعى ، أن يقول له : أنت أيها الزوج لم تستأذن فى إيقاع الطلاق فلا يقع طلاقك ، أو أنت أوقعته بعيداً عنى ، أو عمن هو نائب عنى ، فلا يقع طلاقك : ليس له هذا ولا ذاك ، لأنه حينئذ يكون حائلا بين أن تأخذ صيغة شرعية مقتضاها الذى رتبه الشارع عليها ، وليس ذلك لأحد من الناس مجتهدين كانوا أو غير مجتهدين .

وهذا هو ما يسمى عند علماء الأصول بالحكم السببى ، وهو فى قوة أن يقول المشرع : ( جعلت الصيغة الفلانية سبباً فى الحكم الفلانى ) فإذا وقعت الصيغة وقع فلا يجوز لأحد من الناس بعد ذلك أن يقطع هذا الارتباط الذى ربطه الشارع بين السبب والمسبب لأن ذلك من شأن الشارع فقط كما أجمع عليه العلماء .

٢ — لكن ولى الأمر قد يلاحظ فى أمر من الأمور أن الناس يسرفون فى شأنه ، أولا يتحرون الشروط التى شرطها الشرع فيه ، أو يتعسفون فى استعمال حقهم المشروع تعسفاً من شأنه أن يضر بالغير ؛ وقد يرى لمصلحة الأمة أن ينظم أمراً من الأمور المباحة على نحو يمكنه من تسجيل التصرفات ودراسة أحوال الناس من طريق إحصاء أحوالهم المعيشية أو الاجتماعية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



فلهذا أو ذاك يضع نظاما قانونيا يلزم به الناس ليحقق هذه الأغراض ، وله ذلك بشرط ألا يصادم ما هو مقرر بحكم الشرع .

فى مسألتنا هذه يمكنه أن يشرع نظاما يلزم الناس ألا يوقعوا الطلاق إلا أمام من يمثل السلطة القضائية أو نحوها ، فيقول للأزواج : من أراد أن يطلق زوجته فلا يقدم على هذا التطليق إلا أمام القاضى ، أو بعد إذن القاضى ، ومن خالف ذلك فطلق زوجته بعيدا عن القاضى ، أو بغير إذنه ، فإن طلاقه يقع - لأن هذا هو حكم الشرع لكنى أعاقبه بالعقوبة التى يقررها قانون هذا النظام ؛ لأنه خالف أمرى ، وما هو من حقى بمقتضى ولايتى .

فهو بهذا لا يكون خارجا على الشرع ، ولا معطلا لصيغة من الصيغ التى اعتبرها ، ولكنه إنما يقوم بدور تنظيمى يترتب على القيام به دفع ضرر ، أو تحقيق مصلحة .

والخلاصة : أن هناك فرقا بين أن يقول القانون : « لا يقع الطلاق إلا أمام القاضى أو بإذنه » وأن يقول : « لا يوقع الطلاق إلا أمام القاضى أو بإذنه » فالعبارة الأولى مصادمة لما قرره الشرع فى شأن الحكم السببى ، أما العبارة الثانية فهى نهى قانونى للمكلف فى شأن تنظيمى .

٣ — يأتى بعد ذلك ما يقال من أن إلزام الأزواج بالذهاب إلى القضاء - إذا أرادوا التطليق - سيجر إلى ذكر الأسرار ، وكشف كثير من المسائل التى يضر كشفها بالأسر ... الخ .

وهذه مسألة تقديرية تختلف فيها الأنظار ، فقد يرى بعض الناس : أن القضاء عادة هو المرجع عند الاختلاف ، وأن هناك قضايا كثيرة من قضايا الأسر تنظر أمامه ، وتكشف فيها الأسرار ، ولا مندوحة من قبول ذلك ، لأنه قد يكون أهون الشرين ، وأخف الضررين .

## ٢ — الاستدلال على المطلوب :

وهذه المسألة لها شىء من الصلة بالمسألة السابقة وأصلها قوله تعالى فى سورة الطلاق :

« يأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ، واتقوا الله ربكم ، لا تخرجوهن من بيوتهن ، ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة . وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا . فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف ، أو فارقوهن بمعروف ، وأشهدوا ذوى عدل منكم ، وأقيموا الشهادة لله » .

فقوله تعالى : « وأشهدوا ذوى عدل منكم »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



راجع إلى قوله : « فأمسكوهن بمعروف ، أو فارقوهن بمعروف » ، أى إلى الرجعة والطلاق كليهما . والأمر فيه للوجوب لأنه ليس هناك قرينة تصرفه عن الأصل .

فمن أشهد على الطلاق فقد أتى بالطلاق على الوجه المأمور به شرعا ، وكذلك الرجعة.

ومن طلق ، أو راجع دون إشهاد فقد تعدى حدود ما أنزل الله فى هذه الآية .

بذلك يقول ابن عباس ، وعطاء ، وهو أحد قولين للشافعى ، وأحد قولين للإمام أحمد .

وذهب الشيعة الإمامية إلى وجوب الإشهاد على الطلاق ، وأن هذا الإشهاد ركن من أركانه ، فمن لم يشهد ذوى عدل على طلاقه فهو لغو كأن لم يكن .

فلو أخذ بهذا المذهب لخفف كثيرا من مآسى الطلاق ؛ إذ أن الغالب على الناس أنهم يتحرجون من حضور مجلس طلاق ليشهدوا عليه ، فيكون من هذا فرصة أمام الزوجين للريث حتى يوجد من يشهد ، فلعل الله يحدث بعد ذلك أمرا يعود به إلى الزوجين الصفاء .

وربما كان ذلك سبيلا إلى نقل الخلاف إلى القضاء ليتحقق من أن الشاهدين ذوا عدل كما شرط القرآن ، أو ليس أحدهما أو كلاهما من ذوى العدل ، ومن ثم يحجم الناس — إلا قليلا — عن الشهادة على الطلاق لكيلا يتعرضون فى مجلس القضاء للنظر فى أنهم عدول أو غير عدول .

### ٣ — بطلانه الطلاق فى الحيض .

وهذه مسألة يختلف فيها العلماء ، والمذاهب الأربعة تحكم بوقوع الطلاق فى الحيض ، ولكن هناك كثيراً من العلماء يرون عدم وقوعه ، ويستدلون على ذلك بأدلة كثيرة ، لا نطيل بذكرها ، حيث لا يتسع لها المقام ، وهى أدلة قوية يمكن التعويل عليها ، فيكون من ذلك تخفيف آخر لمشكلة الطلاق .

### ٤ — وجوب التعويض للمطلقات :

١ — يقول الله تعالى فى سورة البقرة :

« لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن ، أو تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين » الآية ٢٣٦ .

« وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون ، أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح ، وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير » الآية ٢٣٧ .

وهاتان الآيتان تدلان على أن المطلقة قبل الدخول :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



« إذا لم يسم لها المهر كان لها المتعة حسب وسع الزوج .

« وإذا سمى لها المهر كان لها نصفه .

وفى ذلك اتجاه واضح إلى تعويض المرأة المطلقة بعد أن تهيأت للزواج من رجل ثم حرمت من هذا الزوج فلم يتم دخوله بها .

بل يرى بعض العلماء أن التى سمى لها المهر يرغب الشارع فى إعطائها المهر كله ، لا نصفه فقط ، على سبيل الاستحباب ، وذلك أنه يفسر الاسم الموصول فى قوله تعالى : « أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » بالزوج الذى طلق زوجته ، ويقول : إن الله تعالى يرغبه فى أن يعفو عن حقه فى أخذ نصف المهر ، أى يتنازل عنه ويعطيها المهر كاملا ، وقد يؤيد ذلك قوله تعالى : « وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم » ، فإن الأنسب أنه موجه إلى الأزواج لا إلى المطلقات ، ولا إلى أولياء الزوجات .

وقد أسند هذا الرأى إلى على ، وشريح ، وسعيد بن المسيب ، واختاره أبو حنيفة ، والشافعى فى مذهبه الجديد .

وقد روى الدار قطنى عن جبير بن مطعم أنه تزوج امرأة من بنى نصر ، فطلقها قبل أن يدخل بها ، فأرسل إليها بالصداق كاملا ، وقال : أنا أحق بالعفو منها - قال الله تعالى : « إلا أن يعفون ، أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » .

وأيدوا ذلك بحديث رواه عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولى عقد النكاح هو الزوج » (١) .

٢ — ويقول الله عز وجل فى سورة الأحزاب :

« يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ، فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا » الآية ٤٩ .

وظاهر هذه الآية أن المطلقة قبل الدخول ، لها المتعة ، ولم تقيد بعدم تسمية المهر ، كما فى الآية رقم ٢٣٦ من سورة البقرة التى سبق إيرادها .

وبذلك تكون المتعة لها ، وإن سمى لها المهر ، فالمتعة شىء آخر غير المهر .

« فمن رأى حمل هذه الآية المطلقة فى سورة الأحزاب ، على الآية المقيدة فى سورة البقرة ، حكم بأن غير المدخول بها - التى سمى لها المهر - ليس لها متعة ، وإنما حقها الواجب هو نصف المهر المسمى .

« ومن رأى حمل الآية المقيدة على الآية

(١) راجع ص ٢٢ من كتابنا « مناهج التفكير فى الشريعة الإسلامية » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



المطلقة ـ أى بالعكس ـ قال : إن المطلقة على عمومها ، والمقيد داخل فى المطلق باعتباره فرداً من أفراده ، وبذلك حكم بأن التى سمى لها المهر : لها متعة أيضا سوى نصف المهر .

وكل ذلك فى غير المدخول بها .

٣ ـ وقال الله فى سورة البقرة :

« وللطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين » الآية ٢٤١ .

وفى سورة الأحزاب :

« يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ، فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا » الآية ٢٨ .

والآية الأخيرة تدل على المتعة للمدخول بها .

والآية التى أوردناها قبلها ، تدل على أن المتعة عامة لكل مطلقة .

« ولهذا يرى ابن حزم : أن المتعة واجبة لكل مطلقة ، لا فرق بين مدخول بها وغير مدخول بها ، فيقول فى كتابه « المحلى » :

« المتعة فرض على كل مطلق ، واحدة ، أو اثنتين ، أو ثلاثا ، أو آخر ثلاث ، دخل بها أم لم يدخل ، فرض لها صداقها أم لم يفرض لها شيئا ـ يمتعها ، وكذلك المفتدية أيضا ـ أى التى طلبت من زوجها الطلاق على مال ، أى على سبيل الخلع ـ ولها المتعة أيضا ويجبره الحاكم على ذلك أحب أم كره ، برهان ذلك قول الله تعالى : « وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين » . وقوله تعالى : « ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين » ، فعم الله عزوجل كل مطلقة ولم يخص ، فأوجبه حقا لها على كل متق يخاف الله تعالى » .

« ويرى بعض العلماء أن المتعة واجبة لكل مطلقة إلا التى سمى مهرها ولم يدخل بها ، فإن نصف المهر متعة لها يغنى عن فرض متعة أخرى ، ويجمع بذلك بين النصوص .

وهذا هو مذهب الشافعى ، وقول لأحمد ، واختاره ابن تيمية .

* * *

بهذا يتبين أنه يمكن النظر فى تقرير تعويض للمطلقات استناداً إلى ما تقدم ، فيكون ذلك جبراً للمرأة المطلقة التى فرض عليها زوجها الطلاق ، وفوت عليها الطمأنينة فى بيت الزوجية ، ولا سيما إذا كبرت سنها ، وفات شبابها ، كما يكون فى ذلك أيضاً ردع للأزواج عن الإقدام على الطلاق إلا بحساب ؟

وقد انتهى البحث والحمد لله .

محمد محمد المدنى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# نفحات القرآن

## آية فيها نور للأبصار والبصائر

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

« هو الذى جعل الشمس ضياء ، والقمر نوراً ، وقدره منازل ، لتعلموا عدد السنين والحساب » .

١ — من عناية الله بنا أن ضاعف لنا أمارات الهداية ، وجعل من آياته المشهودة نظاما لحياتنا ... ووسيلة إلى تعرف الأحكام فى ديننا .

وأنت ترى فى الآية التى معنا توجيها إلى ربط الدين والدنيا ، بما يدلك على أن الله — سبحانه — لم يجعل أحدهما بمعزل عن الآخر ... بل أقام الدنيا دار عمل ، وسبيل أمل ... فليس على صواب من يحسبها حياة زمنية ليس بعدها جزاء .

وليس على صواب كذلك من يبخس الدنيا حقها ، ويحقر شأنها حتى يصورها فى صورة ممقوتة ، ويغرس فى الأذهان أن الاتجاه إليها مأثمة .

فإن فى هذا التصوير استهجانا لما أودع الله فيها من خير ، وتجاهلا لما يتاح بها من نعيم الخلود ...

٢ — وانظر قول الله : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً » .

فهـذا توجيه انا إلى أمور مشهودة ، إذ لا يستطيع إنسان أن يجهل ، أو يتجاهل فضل الشمس ، أو القمر فى هذا الوجود الذى نتقلب فى آفاقه .

ذكر الله أنه جعل الشمس ضياء ، والقمر نوراً ... وهـذا الإبداع مظهر لحكمته ، ومناط لمنافع خلقه ، وروعة فى جمال ملكه .

وفرق ما بين الضوء ، والنور : إن الأول أوضح سناء ، وأطول مكثا ، وهو لمنفعة النهار ، وقد جعل الله النهار معاشا .

وأما النور فهو أقل وضوحا ، وأسرع نهاية ، وهو لمنفعة الليل ، وقد جعل الله الليل لباساً ، نستتر فيه للنوم ، والاستجمام .

وفى هذا يقول تعالى : « هو الذى جعل لكم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



الليل لتسكنوا فيه ، والنهار مبصرا » ، وذلك التنويع هو الأصل المفروض غالبا .

ومع ما فى ضوء كل منهما من منافع حيوية لكل ذى روح فى كليهما خصوصيات يصلح بها الجو ، وينمو بها الحيوان ، والنبات ، ويتوقف عليها نضج الثمار المختلفة الأنواع .

ولو تصورنا الدنيا مجردة من شمسها وقمرها : كيف تكون بهجتها : « أو المقام فيها ، إنها لتكون ظلمة كظلمة الكهوف أو أشد » ، ولا تكون الدنيا مأوى صالحاً لذى روح .

فتفضل الشمس والقمر فى الحياة ، هو عنوان الحياة .

وتلك إشارة القرآن فى قوله تعالى : « وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ... وسخر لكم الليل والنهار » .

وقد يذكر النور دون تفريق بينه وبين الضوء .

بل يقصد منه بوجه عام أنه نعمة قدسية من جانب الله .

وعلى هذا التعميم جعله الله مورداً لتشبيه الإيمان به : « فالإيمان نور القلب ... والكفر والضلال فى أى لون من ألوانه ظلمة القلب ... والقرآن حافل بالآيات فى ذلك التشبيه حتى جعل الله المؤمن بنور الإيمان مبصراً » ، وجعل الضال بظلمة ضلاله أعمى .

« وما يستوى الأعمى والبصير ... ولا الظلمات ولا النور » ... وهذا من البداهة .

وحينما أراد الله أن يضرب لنفسه مثلا لائقاً بعظمته ، وتصويراً لسابغ نعمه علينا اختار أن يصف نفسه بالنور ، فقال « الله نور السموات والأرض » فذكره للنور ليس القصد منه أنه أقل من الضوء ، بل المعنى أوسع من ذلك التحديد .

ولفظ النور أعذب منطقا فى أسلوب الآية من لفظ الضوء .

والمراد : أن الله صاحب النور المطلق فى ملكوته ، سواء : أكان النور حسياً من الشمس ، والقمر ، والنجوم ، وكل ما يستضاء به ... أم كان نوراً معنويا بالهداية ، والتوفيق لطاعته .

فكل ذلك من معالم قدرته ، ومشاهد وجوده ، وألوهيته ... وكلها أمارات توحى إلى العقل بالطاعة ، وحسن الاستجابة .

ومن أجل هذا كان من دعوات الصالحين قديما أن يطلبوا نوره الكاشف عن صراطه المستقيم ، والعاصم لهم من عثرات الضلال ، فكانوا يقولون : اللهم اجعل فى قلبى نوراً ، وفى سمعى نوراً ، وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا ... الخ

وهذا الدعاء يترجم لنا استسلام العبد لربه واعتصامه بحوله وقوته ، حتى لا يكون

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



للشيطان عليه سبيل ، وقد وعد الله بذلك من ينيب إليه فى إخلاص . « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن : فقد استمسك بالعروة الوثقى ، وإلى الله عاقبة الأمور » .

٤ — ذكر الله الشمس والقمر ... والشمس هى هى ... والقمر يكون أول أمره هلالا .. ثم يكون قمراً بعد ثلاث ليال ... وحينئذ يتجلى نوره ، ويتألق فى سمائه ، ولهذا ذكر بلفظ القمر لاتضاح شكله ، وقوة ظهوره ، فيكون الامتنان به أوقع فى السمع ، وفى النظر وفى الافتناع ... ولم يكن القمر أثناء ظهوره لنا حبيساً فى نطاق محدود ، بل هو سائر فى مجراه ، وقدره الله متنقلا فى منازل كما أن الشمس كذلك ليست حبيسة ، بل هما يتعاقبان ، ولا يدرك أحدهما الآخر « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون »

وإنما ذكر عن القمر دون الشمس أن الله قدر له منازل ، ليفيدنا أن القمر مع سرعته بالنسبة للشمس ليس مندفعاً فى انطلاقه ، بل هو سير رتيب ونظام مقدر .

ونحن ندرك نموه شيئا ، فشيئاً ، وندرك تنقله من غرب إلى شرق حتى يكتمل تمامه ثم يكون مطلعه من الشرق إلى الغرب عكس ما بدأ ، ويحتنى رويداً ، رويداً عكس ما بدأ كذلك ...

وهذا ما صرحت به آية أخرى « والقمر قدرناه منازل ، حتى عاد كالعرجون القديم » والعرجون هو شمروخ النخل ونحوه ، فإنه ينمو ، ثم يجف أخيراً بعد رطوبته ويصفر بعد نضارته وخضرته ثم يتقوى بعد اعتداله

وحكمة ذلك فى القمر أن تتميز به الأوقات ونحتسب به الأشهر ونعرف به عدد السنين وحسابنا فى موعد الصوم ، والحج والأسفار ومدة العدة للنساء ، وغير ذلك من شؤون الحياة يعرف فى سهولة بالنظام القمرى الميسور. فضلا عما فى أحوال القمر من أثر فى حياة الزرع ونضج الثمار .. وكذلك فى الشمس . غير أن عادة الناس أن يلحظوا ذلك فى القمر كثيراً لدورانه بين نور فى ظهوره ، وظلة بغيابه ، فيتضح لهم أن له أثرا بينا فى شأن الزروع ، كما أن للظلام نفعاً فى بعضها .

٥ — وتوكيدا لهذه الحكم الربانية فى أحوال الشمس والقمر ، يقول سبحانه : « ماخلق الله ذلك إلا بالحق » فلا عبث ، ولا لهو فى صنع الله ، وإنما هى أوضاع مقدورة ، وإبداع صانع حكيم .

والله يفصل آياته ، ويبرزها على صفحة الكون ، وينسقها فى كتابه ، لتكون مثار علم ، ومشرق هداية لمن تهيأت مداركهم للعلم ، وتحررت عقولهم من لوثة العناد ، والإصرار على التقليد فى الباطل ، والركون إلى الجهالة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



وتوكيدا ثانيا ـ يقول الله : « إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون » .

وبهذا التوكيد مرة ، بعد مرة تقوم الحجة علينا في التخلف عن دعوة الله ، فليست لنا معذرة بعد توافر الأمارات على ربوبيته ، وألوهيته ، وحكمته فيما خلق ، وإبداعه في كل ما تقع عليه العين ، ويحيط به النظر ، ويهدى إليه العلم في جنبات الكون : علويه وسفليه ، وفيما بين السماء والأرض من كائنات لا يحيط بها غير علمه .

٦ ـ ولكن هذه الآيات إنما تجدى جدواها وتستلزم نتائجها عند من يوجهون أنفسهم ، ويتحللون من أهوائهم ، فيكشف الله عنهم رجز الشيطان . ويعيذهم من همزاته ، ويزيدهم هدى ، ويؤاتيهم تقواهم ... كما وعد في كتابه : « والذين اهتدوا زادهم هدى ، وآتاهم تقواهم .

وانظر تجد أن آية الشمس والقمر ختمت بقوله تعالى : « لآيات لقوم يعلمون » ، وأن آية الليل والنهار واختلافها طولا ، وقصرا وتعاقب كل منهما للآخر : ختمت بقوله : « لآيات لقوم يتقون » ، وفي ذكر العلم أولا ، ـ والتقوى ـ ثانيا ـ توجيه بين : إلى أن العلم مرموق ، ومطلوب وأنه سبيل إلى التقوى عن بينة ، وفهم ، وحسن تقدير ، فتقوى العالم تكون أصح ، وأزكى من تقوى الجاهل ومن خلال هذا ندرك أن الإشادة بالشمس والقمر ، والضوء والنور ... وأن التنبيه على اختلاف الليل والنهار : ليسا لمجرد ما ذكر من ظواهر النعمة ، بل الأمر أوسع من ذلك ... وأن هنا مجالا فسيحا للبحث العلمي العقلي في منازل الشمس والقمر ، وفي ارتباط كل منهما بالآخر ، وفي تدرج كليهما في فلكه الخاص ، وما وراء ذلك من علم بالكواكب والنجوم : مما حدثنا الله عنه تصريحا ، أو تلميحا .

وحينئذ : ندرك أن العلوم الكونية كالفلك ، والرياضة ضرورات ، لا يستغني عنها الباحث في توجيهات القرآن ، ولا الراغب في المزيد من معرفة أهداف القرآن ، فهم : لم يجعل الله الاستيعاب فرضا عينيا ، وخفف هنا ، فألزمنا معرفة الأحكام ... لأنها الغاية الأولى في تصحيح الدين والمعاملة .

ولكن النبحر في المعرفة غاية لا تسقط فرضيتها عن الجميع ... بل هي رسالة القادرين على الاجتهاد في كل جانب من جوانب العلم الدين ، أو الدنيا .

فإن الإسلام لا يقف بنا عند حدود معينة في التفكير ـ ولا يرضى لنا أن نظل عيالا على جهود الغير في باب الثقافة ، والمعرفة . وكم أشاد بالعلم ، وبأهله : دون تقييد بنوع منه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



دون نوع . وكم فضل أهل العلم على سواهم من أصحاب الحياة ، وأرباب الأموال وكم وعدهم ربهم برضوانه عنهم ، إذا عرفوا علما يهديهم .

ومع أن الله أفاض على رسوله ما أفاض من معرفة ، فقد حثه على التعلق بالعلم فى قوله « وقل رب زدنى علما » ، وهذا تشريع منه لخلقه عامة وللمسلمين خاصة .

وما ذلك إلا لما وراء العلم من خير للإنسانية ، ولما وراءه بالذات من وصول إلى الحق ، وهداية إلى الله .

وفى ضوء هذا نجد العلم الحديث يفيدنا فى فهم الكثير من الآيات الكونية كما سلف.

وليس حتما أن يكون العلم الحديث صادرا عن مسلمين ... فإن العلم هبة الله لفريق من عباده - ثم هو بعد ذلك ضوء ينتشر سناه بين المسلمين وغير المسلمين .

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول فى ذلك « خذ الحكمة ، ولا يضرك من أى وعاء خرجت » ... ويقول : « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها ! ! » .

ولا جدل فى أن علوم الدين خير ما يدركه الإنسان ، وهى أكرم حصيلة ينالها من جهده فى بحثه وهى الذخيرة الباقية مع صاحبها فى أخراه ، إن كان أمينا عليها ومهتديا بها فى غير تصنع ، ولا مراءاة والنبى يقول « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » .

وعلوم الدنيا وسيلة إلى أهدافها فى الحياة والحياة بحاجة إلى الكثير ، لتكون هنيئة لنا ، ومزرعة للآخرة . فإذا اقترن بعلوم الدنيا وعى صادق ، وفطنة إلى مشرق العلم ، وأنه منحة الله لمن هيأه له . كان ذلك سبيلا إلى الإيمان والإيمان والعلم على سواء ... ولا عداء بينهما إلا إذا كان علما ضارا . أو كان بريقا فى جنبات إنسان مغرور : فإنه عندئذ يحول بين القلب وبين الاهتداء إلى مشرقه الأول ويكون علما فى دائرة العيش الدنيوى ولا ينهض بصاحبه إلى نعيم الخلود فى حياة الخلود . ذلك الذى أضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة » .

وذلك أيضا هو قول الله سبحانه عن علماء الدنيا . « يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون » يعنى أن جدوى العلم فى الدين أقوم شأنا وأبقى نفعا ولا يساويه علم الدنيا . وبعد : فأنا نجد فى الآية القصيرة كثيرا من المقاصد القدسية الهامة ... ونجد المجال الثقافى فى كتاب الله فضفاضا يتسع للاقتباس فى غير تكلف وهو مهيأ للأفهام .

وحسبنا ما ندركه ، والله يهدينا ، وينفعنا بالعلم ، وبالعمل . ويحفظنا من الضلال ، والجهالة .

عبد اللطيف السبكى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



من بحوث مجمع البحوث

# كتب ظاهر الرواية

## للإمام محمد بن الحسن

بقلم الفاضل بن عاشور

— ٢ —

كان الإمام محمد ، صاحب أبي حنيفة ، قد انتصب لتدوين الفقه : تدوينا جامعا للفروع مستوعبا للمسائل ، مفصلا للأحكام على تفاصيل الصور : بطريقة لم يسبق اليها أحد قبله في تصنيف الفقه . وكان اعتماده في جميع الأحكام ، المفصلة على مسائلها ، المطبقة على صورها ، على ما قرره الإمام أبو حنيفة : بما روى عنه محمد بن الحسن مباشرة أو ما روى عنه أبو يوسف ، مما وافقاه فيه معا ، أو خالفاه معا ، أو خالفه أحدهما ووافقه الآخر .

فكان هذا المنهج الجديد في تدوين الفقه بإيراد الصور مفروضة الوقوع لا واقعة نازلة وتفريع الصورة من الصورة بتفرع افتراضات الإمكان العقلي لصور الوقائع ، متسلسلا بعضها عن بعض ، والاجتهاد في تقرير الحكم الشرعي المنطبق على كل صورة من تلك الصور المفروضة ، المتسلسلة على النحو الذي تؤلف عليه القوانين الآن ، قد أعطى التدوين الفقهي صورة جديدة من البسط تتمثل في استيعاب المسائل بطريقة افتراض ، بعد أن كان يقتصر فيها على النوازل الواقعة ، كما تتمثل في بسط الأحكام ، وبسط انطباقها على مناط الحكم من الصورة المفروضة بكيفية تختلف عما كان يسير عليه الإفتاء الصادر عن المجتهدين الأولين مؤسسي المذاهب من الإيجاز ، والاقتصار . ولقد كان الإمام محمد بن الحسن يشعر كما يشعر الناس من حوله ، بما بدا في صنيعه الجديد : من خصوصيات وميزات لم تكن للأوضاع الفقهية من قبله ، فكأن لسان الحال ، نطق عنهم وعنه ، بوصف للنهج الذي انتهجه ، فجعل ذلك الوصف علما معنونا على ما ألف محمد بن الحسن ، فسمى كتابه « المبسوط » ، وبقيت هذه الكلمة كلمة « المبسوط » بعد وضعها العلمي ، الذي وضعت به على كتاب : محمد بن الحسن الشيباني لا تخلو عن لمح للمعنى الوصفي الذي نقلت عنه بما يمثل منهجا خاصا في تدوين الفقه ، فأطلق اسم « المبسوط » على طائفة كثيرة من الكتب الفقهية التي انتهجت ذلك المنهج ، من أوضاع القرن الثالث والقرن الرابع والقرن الخامس .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



سلك الإمام : محمد بن الحسن فى تصنيف كتاب المبسوط . مسلك أخذ المواضيع الفقهية موضوعا موضوعا مستقلا كل موضوع منها عن الآخر ، على طريقة التبويب التى درج عليها الإمام مالك فى الموطأ . واعتبر كل موضوع من تلك المواضيع : وحدة جامعة للمسائل المتفرعة منه والراجعة إليه ، بحيث أصبح الموضوع قائما بذاته مفرغا فى قالب مستقل ، وكذلك أصدر محمد بن الحسن ما صنفه فى الفقه كتبا كتبا بحسب المواضيع الفقهية : الصلاة ، والزكاة ، والمناسك ، والصرف ، والرهن والشفعة ، والوكالة ، والإقرار ، ونحو ذلك إلى عامة أبواب الفقه ، كما أوردها ابن النديم فى الفهرست . فلما جمعت تلك الكتب ، وضم بعضها إلى بعض تكونت منها مجموعة تصانيف ، محتوية على أبواب الفقه بتفاريعها وتفاصيلها فأطلق على تلك المجموعة الكاملة ، الموزعة على كتب ، اسم شامل لمجموعها : هو اسم المبسوط . ولذلك فإن الفقهاء يذكرونه بهذين الاعتبارين . فمرة يعتبرونه كتابا واحدا ، وأخرى يعتبرونه جملة كتب فيقولون : قال محمد فى كتاب العارية أو قال محمد فى كتاب الوديعة ، ويعنون بذلك كتابا من مجموعة كتب المبسوط . وقد اهتم كثير من أئمة المذهب الحنفى باختصار المبسوط وكتبت على المختصرات شروح أهمها شرح شمس الأئمة السرخسى من رجال القرن الخامس على اختصار الحاكم الشهيد ، وهذا الشرح هو الذى اشتهر بمبسوط السرخسى . وقد طبع سنة ١٣٣١هـ فى ثلاثين جزءا بعناية المرحوم محمد بن سامى التونسى . ولما كانت كتب المبسوط قد صنفت على وحدة المواضيع الفقهية ، وتحرى فيه البسط وتقليب الفروض وبيان اختلاف الرأى : بين الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، وصاحبيه ، فان غرض الحرص على ضبط مذهب أبى حنيفة وتدوين قوله مفردا عن الخلاف ، قد دعا إلى وضع مصنف جديد مبنى على الاقتصار فى المسائل على قول أبى حنيفة والتزامه . فألف ـ محمد للوفاء بهذا الغرض ـ كتابا جامعا لأبواب الفقه كلها على النحو المقصود وهو كتاب الجامع الصغير فجاء مشتملا على مسائل تقدم ذكرها فى كتب المبسوط ، أعيدت لأجل تحقيق عزوها للإمام أبى حنيفة ، ومسائل لم تذكر قبل ذلك ولا توجد إلا فى الجامع الصغير وهى الأقل ثم كأنه لاحظ أن من مسائل الفقه ما بنى على قواعد ـ تخفى على أكثر الناس ـ من دقائق العربية وخفايا العلوم الأخرى ، بحيث يتبادر إلى أذهانهم خلاف حكمها لغفلتهم عما عليه الحكم من مبنى دقيق ، فألف لها كتابا يشتمل من كل باب على مسائل معدودة يوجز فى تصويرها ثم فى تقرير حكمها وسماه « الجامع الكبير » . ولذلك جاء هذا الكتاب صعبا يحار العقل فى فهم وجوه تقريره حتى تشرح له كما قال عنه الشيخ زاهد الكوثرى . ولذلك كتبت شروح كثيرة عن الجامع الكبير عد منها فى كشف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



الظنون ثمانية وثلاثين غير التلاخيص والمنظومات وشروحها . وقد قامت بنشر هذا الكتاب لجنة إحياء المعارف النعمانية بالهند وكان طبعه فى سنة ١٣٧٦ هـ .

هذا وإن الأحكام الراجعة إلى موقف المسلمين باعتبارهم جامعة ، من غيرهم ، ونظام علاقتهم بهم سلما وحربا ، وضبط حقوق غير المسلمين باختلاف أحوالهم داخل بلاد الإسلام وخارجها ، وهى المسماة : أحكام السير أو المغازى لما كانت ناحية من العمل الفقهى الذى يشتغل فيه المجتهدون بوضع الأحكام الموافقة للاصول الدينية المنطبقة على الأحوال الواقعية وكان شأن هذه الناحية عظيما جدا فى بلاد الإسلام فى ذلك القرن الثانى ، ولاسيما فى الشام والعراق ، وكانت أكثر الصور التى عرضت للإمام محمد فى ما يرجع إلى تلك الأحكام قد عرضت له فى الأدوار الأخيرة من حياته بعد ولايته القضاء ، واعتباره مرجعا رسميا للدولة فى شئون علاقاتها الدولية ، فإن أكثر المسائل الراجعة إلى تلك الناحية من الفقه قد جمعها بعد أن صدرت كتبه ، ورويت عنه واشتهرت وشاعت ، فوضع لخصوص أحكام السير صنفا خاصا جامعا ، استوعب فيه أحكام العلاقات فى حالتى السلم والحرب ومسائل الأسرى . وحصانة السفراء والمهادنات والمعاهدات ، وبجرمى الحرب وغيرها من أدق المسائل التى لم يقتبه إليها فيبحث فيها الباحثون فى القانون الدولى إلا بعد ثمانية قرون أو أكثر ، وقد جعل محمد بن الحسن تصنيفه السير على صورتى تصنيفه المسائل فى كتبه الأخرى فجاء بكتاب شامل لما روى عن أبى حنيفة وغيره وأفرد كتابا خاصا بما روى عن أبى حنيفة من ذلك . وسمى الأول وهو الشامل « كتاب السير الكبير » والثانى « كتاب السير الصغير » وكان هذان الكتابان آخر تصانيفه . وقد شرح كل منهما شروحا أهمها شرح شمس الأئمة السرخسى على السير الكبير وقد طبع بالهند فى حيدراباد الدكن ١٣٣٦ فى أربعة أجزاء ثم أعيد طبع جزء منه من طرف معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ويتحقق بهذه الكتب الخمسة كتاب الزيادات الذى وضعه الإمام محمد إكمالا لها وتفريعا عن مسائلها ، وهو أيضا ذو شروح كثيرة . وتوجد نسخة خطية منه تعد فى النوادر بمخطوطات المكتبة العبدلية بتونس .

ومن هذه الكتب الستة : المبسوط والجامع الكبير والجامع الصغير والسير الكبير والسير الصغير والزيادات ، يتكون المرجع الأساسى للفقه الحنفى من كتب محمد بن الحسن وهو ما يعبر عنه « بظاهر الرواية » لأنها المروية عنه روايات مشتهرة بطريق الثقات احترازا من كتبه الأخرى التى نقلت من طريق أقل اشتهارا . فكتب « ظاهر الرواية » هى التى تعدها لمقامها الأساسى فى روافد الثقافة الإسلامية .

محمد الفاضل بن عاشور

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# إشارات أبي العلاء

## للأستاذ كامل شاهين

١ — لا تكاد تجد لشاعر فى العربية من الإشارات ما لأبى العلاء المعرى .

فأنت تعثر فى ثنايا شعره على إشارات مختلفة الألوان ...

تجد الإشارات العلمية ، والإشارات التاريخية ، والإشارات الأدبية والإشارات الدينية .. وقد تجد فى القصيدة الواحدة نمطين أو أكثر، وقد تخلو القصيدة خلوا مطلقا منها .

فما الذى حمل أبا العلاء على اصطناع هذا اللون من التعبير ، حتى ليكاد يكون ظاهرة غريبة يمتاز بها الشعر العلائى ؟ .

أفيكون داعيه ذلك إظهار المهارة ، والتكثر بالمعرفة لأن ظروفه قضت أن يرحل إلى بغداد ، وفى نفسه رغبة جامحة فى الشهرة ، وفى نفسه كذلك إيمان بأن شهرته لن تتسع إلا إذا بهر العلماء ، وأنه لن يبهر العلماء حتى يدخل عليهم بما لم ينالوا من حظ فى معرفة طرق التعبير ، أملا فى أن يقروا له بالعلم والشعر فى طلق واحد .

ذلك هو الظن بما صنع أبو العلاء فى شعره من ناحية الإشارات ، ويمكن أن يكون تفسيرا لما صنعه من ناحية الإغراب ومن ناحية اصطياد الجناس، ومن ناحية إيهام التناسب ، ومن كل شذوذه عن المنهج العام للشعر فى عصره ولقد نرى مثلا لذلك فى قصيدته العينية التى أرسلها إلى أبى حامد الإسفرايني الفقيه ، عند دخوله ( أى أبى العلاء ) بغداد .

وفى هذه القصيدة يصف رحلته وما عاناه من ندرة الماء حتى اضطر للتيمم ثم يشرح التيمم بنفس هادئ كأنه فى حلقة درس الفقه ويعرض لقصر الصلاة وجمعها فيقول :

ورب ظهر وصلناها على عجل
بعصرها فى بعيد الورد للماع
بضربتين لظهر الوجه واحدة
وللذراعين أخرى ذات إسراع
وكم قصرنا صلاة غير نافلة
فى مهمه كصلاة الكسف شعشاع

الشاعر لم ينس أنه مقدم على فقيه ، وقد رأى أنه لا بد أن يبهره بالإشارات الفقهية ، ثم هو لا تكفيه الإشارة بل يبسط الكلام فى راحة ، واطمئنان .

وأدعوك إلى النظر فى كلمة «ذات إسراع» لتتبين إصراره على أن يتقصى شروط التيمم ، وفى قوله « غير نافلة » لتعلم أنه يصر على الاحتراز من الصلاة النافلة فإنها لا قصر فيها وهذا ليس من شأن الشعر ، ولكن رغبته

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



فى بسط نفس الفقيه الاسفرايني دعته إلى أن يجعل من الشعر درسا من دروس الفقه . حتى إنه عند ما أراد أن يبين اتساع الفلاة التي اضطروا فيها إلى التيمم اختار لها تشبيها من الفقه أيضا ، فالمهمه كصلاة الكسوف ، وصلاة الكسوف كأطول ما تكون الصلاة ركوعا وسجودا وقراءة [1] .

وهذا التشبيه تشبيه بمن فى الغرابة ، لا يلتقطه إلا فقيه ، ولا يستجيده ويلذه إلا فقيه .

ولم يكد ينتهى من ذلك حتى مضى يقول : إن خوف اللصوص والمغيرين فى هذا المهمه دعاهم إلى أن يصلوا سرا ، وألا يؤذنون بين يدى الصلاة .

وما جهرنا ، ولم يصدح مؤذننا
من خوف كل طويل الرمح شراع

ثم أراد أن يبين عدة أصحابه ، فأصابها فى عدد الجمرات التى يجمعها الحاج ليلا من المزدلفة ، ويرميها فى منى :

فى معشر كجمار الليل أجمعها
ليلا ، وفى الصبح ألقيها إلى القاع

وبعد أن يحدث عن غسل طمريه سبعا من مخالطة الكلاب ، يقبل على الاسفرايني معرفا بنفسه ، وأنه :

مؤدب النفس ، أكال على سغب
لحم النوائب ، شراب بأنقاع

ويخلص من ذلك التعريف الرائع الحلو ، إلى استفتاء الشيخ فى تعاطى الربا ، ويهجم فيزعم أنه يبيح الربا من غير أن يخرق الإجماع على حرمته :

أرضى وأسخط إلا أننى ربما
أبيت غير مجيز خرق إجماع

وبعد أن يبلغ هذا المدى من الإغراب ، وإرباك السامع ، وإماجة أشواقه ، يقدم إليه ( حل العقدة ) فى قوله :

وذاك أنى أعطى الوسق منتحيا
من المودة ، معطى الود بالصاع

اعطى صاعا من الود ، اعطك وسقا أى ستين صاعا ... فهذا هو الإرباء الحلال .

وإنه مع هذه النكت الفقهية المتصلة لا يخلى قصيدته من بعض الإشارات الأدبية وكأنه يرى أن أبا حامد ليس فقيها يعجبه هذا النحو من الكلام ليس غير ، فألم بطرف صالح منها فى مقام الحديث عن نفسه :

من قال : صادق لئام الناس . قلت له
قول ابن أسلت : قد أبلغت أسماعى

يشير إلى قول أبى قيس عامر بن الأسلت : قالته - ولم تقصد لقيل الخنا - :

مهلا ، لقد أبلغت أسماعى

---

(١) عن ابن عمر رضي الله عنه : انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام فلم يسجد ، ركع ، وركع فلم يسجد ، ورفع فلم يسجد ، وسجد فلم يسجد ، ثم فعل فى الركعة الأخرى مثل فعله فى الركعة الأولى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



ثم يبين رأيه فى الهدايا ، وأنها كرامات لآخذها ما لم يرد بها الإغراء والإطماع وأنه ليس عنده ما يهديه إلا قصائده ، فعل المسيب ابن علس :

ولا هدية عندى غير ما حملت
عن المسيب أرواح لقعقاع

وهو يشير فى ذلك لقول المسيب :

فلأهدين مع الرياح قصيدة
منى مغلغلة إلى القعقاع
ترد المناهل لا تزال غريبة
فى القوم ، بين تمثل وسماع

ثم يتبعها إشارة أخرى فى قوله :

ولم أكن ورسولى غير متهم
مثل الفرزدق فى إرسال وقاع

ولقد كان وقاع غلاما للفرزدق يرسله فى الجنايات وكرائه الأمور ، وأبو العلاء لا يرسل رسوله إلا فى الطيبات منها .

قدر أبو العلاء أن سامعى قصيدته سيظلون فاغرى الأفواه ساهمى العقول ، يتمتم الفقهاء منهم : ( بضربتين لطهر الوجه ! .. فى مهمة كصلاة الكسف ! قصرنا صلاة غير نافلة ! . فى معشر كجهاد الرمى ! . . أبيت غير مجيز خرق إجماع ! ) ، ويتمتم الأدباء منهم : ( قول ابن أسلت : قد أبلغت أسماعى . حملت عن المسيب أرواح لقعقاع . . لم أكن مثل الفرزدق فى إرسال وقاع ) .

فيقول هؤلاء : ما أفقهه شاعراً ، ويقول أولئك : ما أشعره فقيها . .

٢ — ولقد ينصرنا فى هذا الظن أنه سلك هذه الطريق نفسها فى قصيدته التى يدعى أنه ارتجلها عند ما بلغه — عند دخوله بغداد — موت الشريف الموسوى ، والد الشريفين الرضى والمرتضى ، مع فرق جدير بالاعتبار ، هو أنه أعرض عن الإشارات الفقهية إلى الإشارات العروضية والأدبية ، وكأنه يراعى بذلك الفرق بين الأسفرايينى الفقيه والرضى الشاعر الكبير ؛ وتسكفينا إشارته فى هذا البيت الذى يبين أن البيت ( بيت الشريف ) لم يضر بموت أبى الشريفين ، هذا البيت الذى لا ندرى ، أنعجب لمعناه كيف التقطه أم لتشبيهه الذى استند فيه إلى العروض فأحسن الاستناد ، أم نعجب لشرة العلم كيف تسلطت على الرجل ، فكادت تفسد لطفه الحلو ، ونغمه المطرد ... فذاك إذ يقول :

أنتم ذوو النسب القصير ، فطولكم
باد ، على الكبراء والأشراف
والخمر إن قيل : ابنة العنب اكتفت
بأب عن الأسماء والأوصاف
ما زاغ بينكم الرفيع ، وإنما
بالوجد أدركه خفى زخاف

فهذا البيت الذى قصر نسبه نطال ، مثله كمثل الخمر غنيت بأنها ابنة العنب عن كل وصف ولقب ... هذا البيت لا يهدمه موت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



من مات منكم ، لثبات قواعده ، واشتداد معاقده ، وإنما أدركه بموت أبيكم - وإن كان مصابا عظيما - مثل ما يدرك البيت من الشعر ، إذا عرض له الزحاف الخفي . فهو لا يعيبه ولا ينقصه .

المعنى على ما ترى ، جدة وروعة ، ولكن التشبيه بالزحاف الخفي ينقلنا إلى جو آخر ، نرى فيه الخبن ، والطي ، والعصب ، وما إلى ذلك مما يفسد جو الشعر ، ويكاد يذهب بروعة المعنى .

ولكن أبا العلاء يريد أن يبهر بالشعر وبالعلم ، فيمزق الشعر بالعلم ، ليبهر أهل بغداد بهذه الإحاطة ، وهذا الشمول ، وهذا الدخول من كل باب .

٣ - ويسوقنا ذلك التعرف على القيمة الأدبية لهذه الإشارات .

لقد رأينا أن أبا العلاء لم يخطىء التشبيه حين شبه المهمه المترامي الأطراف بصلاة الكسف ، ولكنه على هذا شيء محدود بحدوده ، مقيد بمجاله ، فهو يطيب للفقهاء والمشتغلين بصناعة الحديث والذين يعنون بإقامة السنن على وجهها فيجدون في صلاة الكسوف طولا بليغا لا يجدونه في صلاة أخرى .

فإذا انتقلت من هذا المجال إلى مجال الأدباء أو أهل الأخبار والرواية ، لم تجد لديهم طربة لهذا التشبيه ولا هشاشة ، فتأثيره فيهم فاتر ، ولذلك يعد هذا التشبيه غير مقبول .

ومثل هذا يقال في تشبيه ما نال الشريف بموته ، بما نال بيت الشعر من الزحاف الخفي ... عيب لا يكاد يدرك .

وهذا أيضا من التشبيهات ضيقة المجال ، فإنما يحلو مثله لعشاق العروض ، أما الأدباء المطبوعون والنحاة والفقهاء ، فلا يحلو في آذانهم ، ولا تستطعمه أذواقهم ...

ومن هنا يعد من التشبيهات ذات اللون الخاص ، التي يتقبلها ذوق بعينه ، ثم هو ذوق العلماء لا ذوق الأدباء .

وكما أرضى أبو العلاء الفقهاء وأرضى العروضيين ، كذلك أرضى النحاة ، ولا أظن غير النحوي يرضى عن التورية في مثل قوله :

ولي حاجة عند العراق وأهله
فإن تقضياها فالجزاء هو الشرط

وقوله :

فدونكم خفض الحياة فإننا
نصبنا المنايا في الفلاة على القطع

ومن غير النحوي يأنس إلى الجزاء والشرط ، وإلى الخفض والنصب ، وإلى الإتباع والقطع ، ولعل إعجاب النحاة يبلغ مداه ، إذا أنشدهم أبو العلاء قوله في شاعر يسمى صريع البين :

دعيت بصارع فتداركته
مبالغة فرد إلى فعيل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



كما قالوا : عليم ، إذا أرادوا
تناهى العلم فى الله العليم

فهذا بعمل نحوى كالفراء ويونس أشبه منه بعمل شاعر ، وهذا يعجب النحاة ويبهرهم ، لكنه يضايق الأدباء ويغيظهم .

٤ — ولعلك تسأل، فما الرأى فى الإشارات الأدبية والتاريخية ، أهى كذلك لضيق مجالها وخصوص لونها ، تعد بعيدة عن الأدب الحى الذى تتقبله كل النفوس وترتضيه كل الأذواق .

والأمر فى ذلك يسير، فإننا فى باب الأدب إنما نحتكم إلى أذواق الأدباء لا إلى أذواق الفقهاء والنحاة وأهل العروض .

ومادام أمرنا على ذاك ، فإن الإشارات الأدبية والتاريخية تنقاس بمقياس الذوق الأدبى ، والذوق الأدبى يتقبل مثل هذه الإشارات فى رحابة صدر واتئناس .

فأنت تجد راحة فى قول أبى العلاء لأهل بغداد :

ذم الوليد ، ولم أذم جواركم
فقال : ما أنصفت بغداد حوشيتا
لئن لقيت وليدا والنوى قذف
يوم القيامة لم أهدمه تبكيتا

يعنى بالوليد : أبا عبادة البحترى، وأراد بذمه بغداد ، قوله :

ما أنصفت بغداد حين توحشت
لنزيلها وهى المحل الآنس

ويذكرنا هذا بقول أبى العلاء نفسه عن البحترى نفسه :

وقال الوليد : النبع ليس بمثمر
وأخطأ، سرب الوحش من ثمر النبع

فدعوى البحترى أن النبع لا ثمر له ... باطلة ، ألا ترى أن القسى تصنع من شجر النبع ، وهى تصيد السرب من الظباء والعانة من حمر الوحش . فهذا من ثمرها .

وهو يشير بذلك لقول البحترى :

وعيرتنى خلال العدم آونة
والنبع عريان ، ما فى عوده ثمر

فهاتان الإشارتان تلذان للأدباء ، ولا يحتونهما ، ولا يضيقون بهما ، والوزن فى الشعر إنما هو لأربابه لا للسخلاء عليه ولا لأرباب الصناعات الأخرى .

ولكن الإشارات قد تتتابع وتخفى فيصيب منها الشعر ما يصيبه من الإغراب اللغوى ، أو الفلسفة الدقيقة ، وأنت واجد ذلك النوع من التتابع والخفاء فى مثل قول أبى العلاء ، فى إحدى درعياته :

لو أنها كانت على عصمة
فى الوقبى لم يدع بالأجذم

الضمير للدرع ، يقول : لو أن الدرع كانت على عصمة بن عاصم المازنى عند ما ضربه شيبان بن خصفة التيمى يوم الوقبى ما قطعت يده ، ولا لقب بالأجذم . ثم قال :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



ضمانها النفس إحصانها
غير ضمانات أبي ضمضم

أبو ضمضم كان يتصدق بعرضه على عباد الله، فضمانه الإباحة وترك المحاماة، أما هذه الدرع فضمانها إحصانها لا بسها، والمحاماة دونه ثم قال:

ما خلت همامًا لو ابتاعها
يفر من خوف أبي ضمضم

همام بن غالب هو الفرزدق، وكان قد هجا جريرًا فتوعده أبو جهضم عباد بن الحصين الحبطي، فقال الفرزدق:

أفي قتلي من كليب هجوته
أبو جهضم تغلي على مراجله

يقول أبو العلاء، لو أنها على الفرزدق إذ هدده عباد بن الحصين ما فر خوفًا بل لثبت واطمأن.

ثم قال أبو العلاء:

وحاجب لو حجبت شخصه
لم يمس في المنة من زهدم

حاجب هو ابن زرارة التميمي، وزهدم هو ابن حزن العنبري، أدركه يوم جبلة زهدم فانقض عليه وأسره، ثم غلبه عليه ذو الرقيبة: مالك بن عامر.

فلو كانت هذه الدرع على حاجب لقاتل عن نفسه زهدمًا، ولم يصبح في منة منه بتركه.

فمن من الأدباء يستطيع أن يتصل بهذه الأحداث جميلة، فيعرف ما حدث لعصمة يوم الوقبي، ويعرف ضمانات ابن ضمضم، أو إباحات أبي ضمضم، ويعرف فرار الفرزدق من أبي جهضم، والمنة على حاجب من زهدم.

هذا التتابع في سوق الأحداث طريف، ولكنه لغرابته وعدم وضوح دلالته عند القارىء، وحاجته إلى التنقيب والكشف، يقلل من القيمة الأدبية للنص.

وهناك فرق بين رفض الإشارات الفقهية والنحوية وما جرى مجراهما، وبين رفض بعض الإشارات الأدبية والتاريخية.

الأولى نرفضها جملة برغم وضوحها وانكشاف معناها، ونعدها من قبيل المهارة في الصناعة، أو الخداع والشعوذة.

أما الإشارات الأدبية فإننا نستحليها ونرحب بها ما دامت واضحة الدلالة، مصيبة موضعها، في اقتصاد وتخفف.

ونحن نرفضها إذا حال بيننا وبين الاستمتاع بها غموض وعدم إسفار أو إسراف وإلحاح

والأمران كما ترى، منزعهما شديد الاختلاف، وبعد:

فقد حاول أبو العلاء أن يكتسب وجاهة عند العلماء والفقهاء والأدباء وأهل الخبر والرواية، ولكن لم يكسب إلا الكساد والحسد في بغداد، فعاد إلى بلده مقهورًا، وأنشأ يغني لنفسه ويسجل نظراته في الوجود ورأيه في الحياة والأحياء في ديوانه اللزوميات لا يرجو ولا يخاف؟

فاضل السيد شاهين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للأستاذ علي العماري

— ٥ —

ويحرق المؤلف، ويبلغ غاية التنكر للحق، حين يحاول أن يغني عن أهل الكتاب وصمة الكفر بالله، مصادما الآيات القرآنية الصريحة التي لا تحتمل تأويلا.

فهذا عنوان فصل من فصول الكتاب: (اليهود والنصارى أهل كتاب، وليسوا بمشركين ولا كافرين). ويبتدئ الفصل بأن الأسى يملأ جوانحه؛ لأن هناك فكرة خطيرة أعرمت فينا، وهي أن بعض رجال الدين من المسلمين يعتبرون اليهود والنصارى مشركين أو كافرين، وهذا الأمر - كما يقول - مرده إلى الجهل بأصول الأديان عامة، وبدين الإسلام خاصة، وما شاب أهل الجهل من تعصب ممقوت، لا تزال جذوره متأصلة في النفوس، بغير علم ولا إدراك.

ثم يحز في نفسه - صانها الله من كل سوء - أن يكون مبعث هذه النزعة الضارة من أناس عملهم في الحياة الدعوة إلى السلام والوئام، ولكن جرى عملهم على غير ما يظن الناس فيهم، وأن الذي دفعهم إلى ذلك - في تخريفه طبعا - إنما هو الدفاع عن مصالحهم الشخصية، التي لا تقوم - فيما يزعم - إلا على بذر بذور الفرقة بين الناس، وبث روح الخلاف بين العباد، اتباعا لشريعة الصيد في الماء العكر. (ينبغي أن تؤمن أن المؤلف يصيد - دائما - في الماء الصافي).

ويرى أنه من الضروري أن يسوق - هنا - الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة - على حد تعبيره، على أن اليهود والنصارى لا يعتبرون مشركين، ولا كافرين!

والأدلة القاطعة التي ساقها (فخامته) تتلخص في أن القرآن اعترف بكتبهم السماوية، وأوجب على كل مسلم الإيمان بها، وقد سماهم في كثير من الآيات (أهل الكتاب)، وأن طعامهم حل للمسلمين، والمحصنات منهم..

كما يستدل بأن أصل دينهم الذي أنزل الله به الكتب، وأرسل به الرسل ليس فيه شرك، ولكنهم بدلوا وغيروا، وابتدعوا من الشرك ما لم ينزل به سلطانا، فصار فيهم الشرك، وكأنه ندم هنا أنه وصف (إخوانه) بأنهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



غيروا وبدلوا ، فأراد أن يكفر عن هذه (الجريمة) فقال فى الهامش : وكذلك ابتدع المسلمون ما لا يتفق ، وأصول الدين ، ولم ينزل به سلطان فى الكتاب المبين .

وإذن فليس (إخوانه) - كما يدعوهم - بدعا ، فإذا كانوا غيروا فالمسلمون - أيضا - غيروا - هذه هى خلاصة هذا الفصل ، وسأدع للمؤلف نفسه أن يحكم على خطئه بعد أن مر مرا سريعا على تخبطه فى هذا الفصل .

١ — آيات القرآن صريحة فى أن أهل الكتاب غيروا وبدلوا ، وأنهم كفروا بما أحدثوا فى الدين مما ينافى الوحدانية . قال الله تعالى فى سورة التوبة : « وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله ، أنى يؤفكون » .

وقال سبحانه فى سورة المائدة : « لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح : يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم » . فسماهم القرآن (كفارا) و (مشركين) و (ظالمين) و (حرم عليهم الجنة) وتوعدهم بالنار ، وبالعذاب الأليم .

ومن عجب أن المؤلف أراد أن يتعالم فيدعى أن القرآن فرق بين أهل الكتاب ، والمشركين ، واستدل بقوله تعالى : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ) ... هكذا كتبها ، ثم علق عليها بقوله : فجعل المشركين غير أهل الكتاب .

ونسى - فهمه الله - أن هذه الآية تثبت الكفر لأهل الكتاب وهو ينفى فى عنوان الفصل وفى كل أجزائه أن يكون أهل الكتاب كفارا .

وإنى أسأل المؤلف : هل يقبل من مسلم أن يقول - مع هذه الآيات - إن أهل الكتاب ليسوا كفارا ؟ وماذا يعرف حضرته عن حكم الإسلام على من أنكر آية ، بل آيات صريحة من القرآن ؟

٢ — ماذا يقول المؤلف وقد وصف القائلين بحكم القرآن فى هذه المسألة بما وصفهم من جهل ، وتعصب واصطياد فى الماء العكر ، وعمل على بذر بذور الفرقة بين الناس ، ماذا يقول إذا علم أن الرجل الذى اعتمد فى كتابه من ألفه إلى يائه على آرائه - بعد تحريفها - إذا علم أن هذا الرجل ، وهو السيد رشيد رضا ، من القائلين هذه المقالة .

(نرى المصلحين الذين زعموا أنهم أعادوا النصرانية إلى أصلها لم يستطيعوا أن يرجعوها إلى التوحيد الذى هو دين المسيح ، وسائر أنبياء بنى إسرائيل ، ورسل الله أجمعين ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



فهم لا يزالون يقولون بألوهية المسيح ، وبالتثليث ويعدون الموحد غير مسيحي كما يقول ذلك الفرقتان الكبيرتان الأخريان من فرق النصرانية فى هذا العصر ، وهم الكاثوليك والأرثوذكس ، فجميع فرق نصارى هذا العصر تقول إن الله هو المسيح ابن مريم ، وأن المسيح بن مريم هو الله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ) .

٣ — هل يرى المؤلف أن القرآن الكريم بآياته الواضحة هذه عامل على بذر بذور الفرقة وأنه يعمل ذلك ليصطاد فى الماء العكر ؟ !

٤ — ما دخل اعتراف القرآن بكتبهم ، ودعوة المسلمين إلى الإيمان بهذه الكتب فى موضوع وصف أهل الكتاب بالكفر ؟

وقد قال وأعاد ، وكرر أنهم حرفوا هذه الكتب ، ولم يؤمنوا إيمانا صحيحا بما جاء فيها.

أما إحلال طعامهم ، وذبائحهم ، فسببه أنهم لا يعبدون صنما ، ولا يذبحون باسم صنم ، ولو أنهم ذبحوا ذبائحهم وأهلوا عليها باسم المسيح — مثلا — لما جاز لنا أكلها .

* * *

ويتفضل المؤلف فيوجه لنا نصيحة غالية ، نقلها عن السيد رشيد رضا ، قال : خير ما يتبعه المسلمون مع غيرهم من أهل الأديان الأخرى هو الأخذ بالقاعدة الصحيحة المعقولة التى وصفها العلامة الكبير السيد رشيد رضا للاتفاق بين المختلفين فى المذاهب والأجناس من المسلمين ، والمختلفين فى الأديان ، والأجناس الأخرى ، وهى : ( نتعاون على ما نشترك فيه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما نختلف عليه ) .

قال المؤلف بعد ما ساق هذه القاعدة ( الذهبية ) : هذا ما أدعو إليه ، وأجهر به الناس كافة — على بصيرة — وقد بلغت ، اللهم فاشهد ، اللهم فاشهد .

ولا أدرى من أين نقل المؤلف هذا الكلام عن الشيخ رشيد ، فإنى أشك أن يكون هذا وضع هذه ( القاعدة ) على النحو الذى رسمه المؤلف ، وقد عودنا المؤلف أن يبتر النصوص ويحرف فيها ليصل إلى الهدف الأسمى ، وهو إرضاء إخوانه .

فقد يكون حسنا ، وجميلا أن يعذر بعض المختلفين فى المذاهب بعضا فيما اختلفوا فيه ، ولكن ما معنى أن يعذر أهل الأديان بعضا فى هذا ؟

أيريد المؤلف أن نقول لليهود حين يقولون ويرددون : إن عيسى ولد من زنا ، وللمسيحيين حين يقولون إن عيسى هو الله ، أو هو ابن الله ، أو يقول الفريقان : إن محمداً كاذب ، وإن القرآن ليس من عند الله ، أيريدنا أن نقول لهم : إنكم معذورون ، ويكون هذا هو كل ما يطلبه منا ديننا ؟

إن الذى ينبغى أن يعيه كل مسلم أن واجبنا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



أن تبلغ الإسلام على وجهه الصحيح ، وأن نذيع فى الناس أن الله واحد لاشريك له ، وألا نعذر أحداً حين يكفر بالله .

ونحن نؤمن أن الإسلام هو الدين الحق ، ولادين غيره ، وأن محمداً أرسل للناس كافة ، وأن علينا أن نجهر بهذا كله ، فكيف نؤدى ذلك إذا كان كل عملنا أن نكتفى مع المنكرين لهذا الدين ، الصادين عنه ، العاملين على هدمه ، تكتفى بأن ( نذرهم ) ؟ !

إنى أكره ، بل وأحتقر كل من يجامل أحداً على حساب الدين ، وإن أمرنا بمعاملة أهل الكتاب معاملة عادلة لا يعنى أن نغض عما يفترون على الله ؛ وعلى نبينا ، وعلى كتابنا .

والمؤلف قال : (إن خير مايتبعه المسلمون)، فلماذا لم يقدم هذه النصيحة إلى هؤلاء الذين يحاربون الإسلام ، وتعاليمه فى كل مكان ، وبكل أسلوب ؟ !

أم أن هذا واجب ، فقط - فى رأى المؤلف - على المسلمين دون غيرهم ؟ أم أن المؤلف يرى أن أصحاب الديانات الأخرى يسيرون على تعليم هذه القاعدة ، وأن المسلمين فقط هم الذين يخالفونها ، فهو يريد أن ينبههم إليها ، ويرغبهم فى اتباعها ؟ !

الحق أن المؤلف كشف عن نفسه ، ولم ينفع الذين يدافع عنهم ، وعدو عاقل خير من صديق جاهل - كما يقول المثل - .

وليقل من شاء من المستشرقين ، والمستغربين ما شاء فى تعاليم الإسلام ، وليتجه دعاة التجديد إلى ما يشاءون من تفاسير لهذه التعاليم لا تتفق وطبيعتها ، فإن الذى ينبغى أن نفعله ، وأن نقوله هو أن نبين الأمور على وجوهها الصحيحة ، وألا نميل مع أى إنسان لكى ندفع عن الإسلام تهمة يختلقونها ، فإننا لو ظللنا نفعل ذلك بعدنا شيئا فشيئا عن روح الإسلام ، وعن حقائقه .

وعلينا أن نقولها صريحة واضحة : الإسلام دين حق ، وكل تشريع جاء به حق ، وكل وسيلة اتخذها لنشر دعوته حق ، وليقل من شاء ما شاء .

والعجب أن أحداً من أهل الأديان الأخرى لا يجاملنا ، فلماذا يعمل فريق منا على أن يعطوا الدنية فى دينهم ، وهم على الحق ، وغيرهم على الباطل .

ليس بمسلم عندى من تحمله الرغبة فى جاه أو مال أو صيت على أن يجامل على حساب الدين ، وإن أضل المضلين أولئك الذين يحبون أن يقول الناس عنهم إنهم مجددون ، وهم لا يحبون أن يصدعوا بكلمة الحق ، إذا كانت تظهرهم بمظهر المتمسكين بالدين الصحيح .

وقاتل الله الدنيا ، ما دخلت فى شئ إلا أفسدته .

والله قصد السبيل .

على العمارى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# القوم الصوفية بقلم: ا.م.م. ماكين

## ترجمة الأستاذ فتحي عثمان

— ٣ —

هذا التيار المندفع نحو مفهوم « الجماعة » الصوفية بتأكيده الطابع المتميز للمعرفة الصوفية كانت تصاحبه وتسايره محاولات لتعبئة الرأى العام بأكثر مبادىء الشريعة السائدة معارضة وتشدداً ! وهذا التطور الأخير طبع الفترة التالية من تاريخ الحركة بطابع الثورة ، وعزز من الجهود النظرية لتأصيل الجماعة الصوفية منذ القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى فصاعداً ظهور رجلين من أقطابها الشامخين : الغزالى ( المتوفى سنة ١١١١ م ) ، وابن العربى ( المتوفى سنة ١٢٤٠ م ) ، وفى هذا الوقت كانت موسوعة « إخوان الصفا » قد نفذت إلى الجو الفكرى للمجتمع الإسلامى ، وأشاعت العلم والفلسفة بين الجموع .

وقد عبر الباحثون المحدثون عن الحاجة إلى إعادة تقويم دور الغزالى المجدد فى الحركة الصوفية . وهكذا ظهر من الدراسات المتعمقة لطائفة منهم : أن الغزالى قد عمل على إحكام المحاولات التى بذلها أسلافه لإدخال الصوفية فى النطاق القرآنى للأفكار معززاً بتجربته الشخصية فى الطريق ، وقد كتب لجهوده الفوز المبين ، وعلى الرغم من أن تحوله إلى هذا المجال ، وتأييده الجسور لقضية الصوفية الرفيعة قد جلب عليه بادىء الأمر حنق الفقهاء التقليديين ، إلا أن الأمر اختلف من بعده ، فتأكد الوفاق بين الصوفية المعتدلة (١) والتعاليم السنية » ، واتسع الأفق العقلى للجماعة الصوفية بعد مضى أكثر من قرن بدرجة فائقة ، نتيجة لما قدمه ابن العربى من عرض انتقائى تجميعى لحكم يرفض الثنائية non-dualist ، ولقد كان نهجه الفكرى يحمل تحدياً صارخاً لأقيسة علماء الكلام المنطقية (٢) .

* * *

ولقد استمدت حركة الصوفيين ـ بكونها طاقة حية عاملة ـ قوة بدرجة تفوق ما استمدت من التعبير النظرى ، شأن كل الحركات المماثلة فى التاريخ . وأدى قيام نظرية

---

(١) ويمثل هذه النزعة مدرسة صوفية على رأسها الجنيد البغدادى ( المتوفى سنة ٩١٠ م ) وهى تؤكد التمييز الأساسى بين الشريعة ، والتجربة الصوفية .

(٢) توصف فلسفته عادة بأنها قائمة على وحدة الوجود . وفى اصطلاحات لا تبدو دقيقة فى التعبير عن نهجه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



صوفية إيجابية محددة إلى تقديم أساس متين للحركة فى مجموعها ، ولكن المجادلات حول وحدة الوجود : « على الرغم من أنها كانت مقروءة ، ومحل إعجاب لدى المثقفين ، وعلى الرغم من أنها أثمرت شعراً له آثاره العميقة إلا أنها لم تكن تؤخذ مأخذ الجد من عدد كبير من أبناء الطرق الصوفية ، وهناك محاولة لها دلالتها لتأكيد الطابع العملى للطريق يشير إليها استعمال كلمة (قوم) بدلا من كلمة صوفية ، وقد جاءت كلمة « قوم » أكثر شمولا وأبعد مدى فى مضمونها الاجتماعى ، ووجدت الفكرة تعبيراً عنها فى الكتابات النظرية المبكرة التى استعملت عبارات مثل : محبة القوم، سيد القوم ، طريق القوم ، أسرار القوم، زعيم القوم ، وهى عبارات تستوعب مجموع حياة الصوفية ممتدة من أعمال العبادة، وحضور مجالس الذكر إلى مسائل تتعلق بالمكاسب .

وكانت الأهداف التى عملت لها حركة القوم منذ البداية قد ذاعت عن طريق بعض النظم مثل حلقة الذكر ، أو مجلس الذكر الذى كان اجتماعا عاما لترديد الذكر ، وقد اتسعت رموزها لتتضمن الجماعة كلها ، وبذلك تأكد القول: بأن الصوفية لم تكن مجرد مذهب لقلة من الناس، بل طريق الحياة للكثرة ، واعتبرت أسمى وسيلة لإرشاد الإنسانية بأوسع معانى كلمة ( إرشاد ) ، ومن هنا عرف أبو حفص النيسابورى ( المتوفى سنة ٨٨٣م ) الصوفية : « بأنها طريق القلب والعقل » ، بينما وصفها الجنيد المشهور : « بأنها نصيحة الأمة كلها » ، وعلى هذا المفهوم وضع الغزالى ، فيما بعد ، تفسيره لأسلوب التربية فى الطريق بمعناه الصحيح كنهج سلكه الأنبياء حقا لإرشاد الناس .

وكان القوم يمثلون مجموعا من الاهتمامات لأتباع يتباينون فى مواهبهم العقلية ، لكن هناك تمييزا دقيقا ملحوظا بين الدعاة إلى طريق القوم ، وطابعهم التأكيد على العمل ، وبين المتصوفة العلماء من أهل المعرفة ، ويقابلون أهل العلم بالنسبة لفقهاء الشريعة ، ويشير الكلابذى فى إجمال إلى الأقطاب وأصحاب النظريات والكتاب فى الصوفية بتعبير ( رجال الصوفية ) ، لكن مصادر ( الطريقة ) المتأخرة قد وضعت فيما بعد هذا التصنيف فى صورة أكثر تحديدا بالمقابلة بين سادة القوم ، وبين الأقطاب المتخصصين فى الموضوع الذين يطلق عليهم مثل هذه الأوصاف[1] : محقق القوم ، أهل التصوف أئمة التصوف ، وقد أوضح هذا جلال الدين السيوطى ( المتوفى سنة ١٥٠٥ م )[2] حين

(١) ابن مغيزيل : الكواكب ورقات ١٢٢ أ ، ١٢١ أ ، ١٣٢ أ .

(٢) التأييد ص ١٨١ ، وانظر أيضا المصدر السابق ص ٣٠ / ٤٠ حيث تجمد مناقشة مثمرة فى الرابطة بين الصوفية والقوم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



كتب أن خاصة القوم [١] هم الصوفية ، ونحن نقف على أرض ثابتة حين نذهب إلى أن هذه الاختلافات كانت داخلية الطابع ، وأنها جاءت تعبيرا عن الدرجات المتنوعة للمواهب الشخصية ، والجهود المجموعات بعينها .

وتشربت هذه النزعة الحركة فى أساسها العريض خلال العصر العباسى أعدادا من الأتباع من مختلف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، ومنذ النصف الأخير من هذا العصر تقدمت الحركة بسرعة مذهلة واكتسبت فكرة « طريق القوم » أيام الغزالى تعبيراً أكثر ضبطا كأداة للتعليم الصوفى ، وتكفل بهذا أساسا عاملان لهما تأثيرهما : الشيوخ وجماعاتهم من الفقراء ، وكان الأعضاء المنتمون لهذه « الأخوة » من الفقراء يضعون أنفسهم تحت توجيه الشيخ بعد أخذ العهد على أن يكونوا من مريديه ، وعلى الرغم من أن القشيرى والغزالى قد أيدا ( الطريقة ) كتنظيم اجتماعى روحى أخلاقى سليم ، إلا أنهما انتقضا بصراحة تدهورها فى أيامهما والغزالى موعظة بينه فى « الإحياء » [٢] . تناول فيها العيوب التى تعرضت لها الطريقة بتأثير جماعة من الأدعياء من المشعوذين المقنعين أو أهل الإباحة الذين يتذرعون بالطريقة للعبث بأحكام الشريعة .

ومن الملامح المميزة لصورة « الطريقة » كتجمع صوفى ظهور فكرة « القطب » وهو الرأس الأعلى لجماعة الأولياء ، أو فى الحقيقة « الهيئة المقدسة للإدارة التى تضطلع بأعباء حكومة العالم غير البادية للعيان » وأن الميزات والوظائف المتنوعة التى يختص بها أعضاء هذه الهيئة المقدسة تبدو ممثلة للمضمون الكامل لحركة الطريقة ، وفى مصادرنا عرض بليغ للموضوع ، وتبعا لهذه النقول نجد لكل مرتبة فى هذه الحكومة الدينية قطبا فى حين يكون القطب الموحد الأعظم هو « الغوث » الذى يناديه الناس للنجدة فى الشدائد والحوائج ، ويوصف القطب أحيانا بالخليفة و « الوارث » ، وذلك بالنظر إلى مركزه بالنسبة للنبى ، وإن لم يكن المنصب وقفا على أهل البيت وحدهم ، وتذكر هذه المصادر هرما ( الحسن ) السبط ( ٩٦٩ م ) كأول من حمل هذا اللقب ، بينما يورد جولدزيهر أن بعض علماء الكلام قد أشار إلى فاطمة بنت النبى كأول من دعى بذلك ، ويبدو أن ( مرجوليوث ) يظن أن الكلمة استعملت فى عهد القشيرى تقريبا ( توفى سنة ١٠٧٤ م ) وهو يرجح أن يوسف الهمدانى كان أول من حمل هذا الوصف ، ثم انتقلت النسبة

(١) يعزو لينجز استعمال تعبير ( قوم ) إلى نص حديث النبى صلى الله عليه وسلم يعرض للقوم الذين لا يشقى بهم جليسهم .

(٢) ج ٣ ص ٣٤٧ / ٢٥٠ ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



فيما بعد إلى كل مؤسسى الطرق المعروفين ، وتشير مصادرنا بالطبع إلى عبد القادر الجيلانى ( المتوفى سنة ١١٦٦م ) وأبى الحسن على الشاذلى ( المتوفى ١٢٦٥ م ) كأول من تسلم هـذا المنصب الإلهى ، وبين أصحاب النظريات الصوفية الأوائل قيل : إن الحاكم الترمذى ( ٨٩٣م ) كان أول من نشر الاعتقاد فى حكومة دينية يقوم على رأسها القطب .

ويبدو لابن خلدون أن الفكرة مشتقة من النقول الإسماعيلية والشيعية التى تذهب إلى أن الله يتمثل فى الأرض عن طريق وصيه الذى يرشد الإنسانية كافة ، ومن بين الباحثين المحدثين يعزو هانبرج هذا المفهوم فى شىء من التشكك إلى صورة الإمامة عند الشيعة بينما يرجع بها ( بل ) بصورة أخرى إلى تراث المهديه ، ويؤثر ( جب ) أن يتتبع فكرة القطب والولايه ليعود بها إلى أصول مسيحية غنوسطية ، وثمة حقيقة تستحق الذكر هنا : هى اللبس الواضح فى معظم الدراسات المعاصرة إذ تذهب إلى أن القطب رمز غير مرئى فى العالم غير المنظور فحسب فى حين أن تراجم الصوفيه تبين أن اللقب مع ما دونه من الألقاب مثل الأبدال[1] قد خلع على أولياء كانوا أحياء ، وهو تقليد يجرى عليه العمل ويبدو سائدا حتى يومنا هذا ، وكان هؤلاء يعتبرون الممثلين الأرضيين لجماعة روحية خالدة.

وقد نتج عن هذا التركيب (شيخ الفقراء) تلك الظاهرة فى التطور الشورى للحركة الصوفية التى مهدت الطريق من القرن الثانى عشر فصاعدا لقيام جماعات الأخوة الدينية الكبرى التى رسخت قواعدها فيما بعد على أيدى معجبين لاحقين حافظوا على تسمية وتقاليد الأساتذة الأصليين الذين شرحوا الطريق ، وقد أجمل ( د . ب . ماكدونالد) طبيعة هـذه الطرق ومجالاتها ودورها فى هذا الوصف بعبارته المنسقة التالية : «لقد كان التنظيم فى مجموعه متحررا من قيود المحلية ومن الدنيويات ، وما تجره معها من أحابيل وعراقيل ؛ وكان المجموع - كما يمكن القول - حلما جميلا . وكانت الطرق مستقلة ، وتعمل على ترقية نفسها بنفسها ، وكانت هناك منافسة بينها ، ولكن لا تتحكم واحدة منها فى الأخرى ، ولكل منها طريقها الخاص فى الاعتقاد والسلوك ، لا تحكمها إلا حدود المضمون الروحى العالمى للإسلام ، وكانت الشاذلية إحدى الطرق التى سميت باسم منشئها الشهير أبى الحسن الشاذلى ( المتوفى سنة ١٢٥٦م ) .

( تم البحث )

فتحى عثمان

(١) ويقال : إن الإبدال سبعة ، وهم يكونون أحد أقسام الحكومة الدينية ، وهم قوم وصلوا إلى الكمال والاستقامة فى ترقيهم الروحى . أنظر مثلا ابن اياد : للفاخر صـ ١٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# الإسلام والحياة

للأستاذ محيي الدين الألوائي

---

إن العالم اليوم ينساق - طوعا أو كرها - إلى المبادئ التي أقرتها التعاليم الإسلامية ، ونادى بها الرسول الأعظم : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . قبل أربعة عشر قرنا مضت . وما السر الخفي وراء هذا الانسياق الفطري ؟ مع أن هناك محاولات تبذل لتشويه تعاليم الإسلام الحقة ، وتزييف إرشادات القرآن الصحيحة !! . كما نرى أناسا من الذين ينتمون الانتماء إلى حظيرة الدين الحنيف يبتعدون عن تعاليمه وإرشاداته . فأما سر هذا الانسياق فأن هذه المبادئ ، وتلك التعاليم فطرية إلهية تتمشى مع تطورات العالم وبيئاته وظروفه . « فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله » .

فإن فطرة الإنسان ، ونواميس الطبيعة لا تتغير ولا تتبدل مهما حاول المزيفون ، وسعى المحرفون لإبعاد الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها . فالقرآن كتاب الله المرقوم ، والطبيعة الكونية كتاب الله المختوم فكما لا يستطيع إنسان كائنا من كان ، تغيير شيء من الفطريات الإلهية ، والطبائع العالمية ، لا يستطيع أحد أن يبدل شيئا من القوانين الآلهية المنثورة في كتاب الله السماوي المرقوم ، فإن عناصر الخلود ، وعوامل الصلاحية ، لكل زمان ومكان متوفرة في تعاليمه التي تؤدي إلى تحقيق أسباب المجد والرقي والحضارة والرفاهية للجنس البشري كله .

ولا تنتقد القوانين في صلاحيتها وقابليتها بسبب سوء فهم الناس لها ، أو الإهمال في العمل بها ، ويعود السبب الحقيقي لانكماش الناس عن تعاليم الإسلام ، وابتعادهم عن توجيهاته إلى سببين رئيسيين ، أولا : عدم الفهم - أو سوئه - لأساليبه وإرشاداته كما يجب أن يكون ، واتباع الأهواء والمصالح الذاتية في تطبيق قوانينه ، وتأويل أوامره ، وثانيا : هروب بعض العلماء - وأشباههم - وراء الألفاظ والكلمات ، مع غض النظر عن الحقيقة والغايات والاكتفاء بالسطحيات والابتعاد عن اللب والروح ، وفوق هذا وذاك فإن انهيار الأمبراطورية الإسلامية جعل الوهن والضعف واليأس يدب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



إلى قلوب ضعفاء الإيمان من العلماء والباحثين فانحارت قواهم العلمية والبحثية ، واكتفوا ببعض المظاهر والتقاليد من الإسلام ، وهم من روحه ولبه براء !.

وإن كتاب الله المقدس المنزل على خاتم الأنبياء والرسل يحمل هدايه للناس كافة إلى يوم الدين فهو المكفل من رب الناس بحفظه وبقائه وخلوده : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وأعد الله سبحانه وتعالى عبده ورسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لأن يحمل رسالته للعالم أجمعه : أنسه وجنه ، أبيضه وأسوده ، وليكون شمس الهداية ، ومنار النور والعرفان ، فيقول الله سبحانه وتعالى فى معرض بيان مكانته عليه السلام ورسالته بين سائر الأنبياء ورسالاتهم : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ، يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ، ولا يكتمون الله حديثا » ثم يقول : « ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » .

ويقول رب العباد فى كتابه الحكيم عن مكانة أمة محمد عليه الصلاة والسلام بين الأمم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » ويفهم هذا صراحة من قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » وقوله تعالى : « هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس » .

وأما عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم للعالمين جميعاً ، واستجابتها لكل حاجات البشر فى جميع مرافق الحياة فيبدو جلياً من قوله عز وجل مخاطباً رسوله الأجل « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وقوله فيه : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيراً » .

وفى ضوء كل هذا وذاك من الأدلة العقلية والنقلية لم يبق للباحثين عن حقيقة التعاليم الإسلامية ، وعن مدى قدرتها لبناء الحضارة الإنسانية الحقة ، وإقرار الأمن والطمأنينة فى الجنس البشرى إلا الرجوع إلى كتاب الله المرقوم الذى « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » ، وهو السجل الخالد المحفوظ من كل تغيير وتبديل ، والمصون من كل تحريف وتحريف وسنة رسوله الذى قضت حكمته لأن يحمله رسالته الكبرى وجعله أسوة حسنة للبشرية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



جميعاً ، « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا » ، لأنه رسول الإنسانية قاطبة ، : « يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً » .

## نظرة الإسلام الى الحياة :

يصف الكتاب الحكيم الحياة الدنيا بأسلوب معجز ، ليس فى استطاعة أى بليغ مهما أوتى من قدرة الدقة فى التعبير ، وليس فى مقدور أى كاتب ملهم مهما بلغت مقدرته فى إجادة التصوير ، أن يحيط بوصف الحياة الدنيا الواقعية بأحسن منه إذ قال : « كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح » . وإن الله سبحانه وتعالى لم يترك الإنسان لأحلام اليقظة تلعب بعقله ، وتعبث بخياله كما تشاء بل أقام له دلائل قاطعة ، وبراهين ساطعة ، على أن الحياة الدنيا مملوءة بالمحن ، وسريعة الزوال ، وأودع خالق البشر والقوى فيه من الطبائع والغرائز ما يحمله على تنازع البقاء وحب السيادة ، ولكن رسالة كل فرد من الجنس البشرى — فى نظر الإسلام — هى القيام بالأعمال الصالحة التى تعود فائدتها عليه وعلى الناس فى حدود العمران والنهوض والتقدم ، مع التمسك بالتقوى والإحسان والإيثار والمحبة ، لكيلا يندفع الإنسان إلى الافتتان بهذه الحياة المطلية بالغرور الكاذب ، ويكف عن التكالب وراء حطام الدنيا البراق .

وقد شيد الإسلام صرح الحياة الناجحة على أسس الإيمان الصحيح ، والعمل الصالح فيقول القرآن الكريم : « والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » فلا يكفى الإيمان وحده لنيل الفوز والظفر فى الدارين ولإقرار الأمن والطمأنينة فى العالم ولكن يجب أن يكون مقرونا بالعمل الصالح . العمل الصالح لله عز وجل ، ولنفسه ولوالديه ولأقاربه ، ولوطنه ولمواطنيه وللعالم الإنسانى كله ، ولا شك أن الإيمان منشأ العمل الصالح ، والعمل الصالح مظهره ، فلكل منشأ مظهره ، ومن هنا صارت الأعمال الصالحة بكل معانيها ومظاهرها لازمة لسعادة الدارين ، ولإقامة العدالة الإجتماعية فى الجنس البشرى .

وأما الإسلام فدين العقيدة والعمل ، فيجب — بمقتضى تعاليمه — على كل إنسان أن يعمل عملا يفيد صاحبه وغيره على حد سواء ، وتظهر هذه الحقيقة النبيلة واضحة فى جميع تعاليم الإسلام التى أكدت بصراحة ووضوح أن الإنسان نتيجة عمله ، وأن هذه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



الحياة حياة عمل وسعى ، : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى » « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

ويقول الشاعر العربى :

حياة الورى حرب ، وأنت تريدها
سلاما ، وأسباب الكفاح كثير
أبى سنة العمران إلا تطاحنا
وكدحا ، ولو أن البقاء يسير

ويقول أمير الشعراء شوقى رحمه الله :

قف دون رأيك فى الحياة مجاهدا
إن الحياة عقيـــدة وجهاد

ويمد الإسلام الإنسان جسميا وذهنيا لأن يواجه الحياة وهو بصير بأحوالها وخبير بشئونها ، فإن الإيمان بخالق الكون ، ووحدانيته ، وتفرده بالعبودية ، ومنح العون الحقيقى والإيمان بالآخرة ويوم الدين يربى فى صاحبه روح الاعتماد ، فى الشدائد ، على الله سبحانه وتعالى فيواجهها مطمئن القلب ويقبل على أداء واجبه نحو ربه ونفسه وأمته ووطنه فى ثقة وإيمان ، ويعتمد فى نجاحه ، بعد اتخاذ الوسائل الظاهرية على معونة الله وتوفيقه ، ونظرة من هذا القبيل إلى الحياة الدنيا تبعث فى قلب الإنسان الشجاعة والصدق فى العمل ، وتغرس فى نفسه احترام حقوق الغير وعزته وكرامته ؛ لأن الناس سواسية أمام الله - لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وكلهم مسئول أمامه « ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

ويقرر الإسلام أن الإيمان يجب أن يكون منشأ للعمل كما يكون العمل مظهرا له ، فإنه لا يوجد مظهر بلا منشأ ، فلذا يقرن القرآن الكريم الايمان دائما ، بالعمل ، كما يقول فى سورة العصر « والعصر إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ، وفى سورة التين : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » فيا حبذا لو تمكنت هذه الفكرة القرآنية السامية فى قلب كل إنسان يتطلع إلى النجاح فى هذه الحياة الدنيا فإن العمل الناشىء من صميم العقيدة الراسخة فى القلب هو الذى يؤدى إلى النجاح وبلوغ المرام . ؟

محمد الدين الأنوانى
المدرس بكلية الطب - جامعة الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# أثر اليتيمة في أدب الأندلس

للأستاذ محمد رجب البيومي

— ٢ —

لقد ذكر ابن بسام في مقدمة كتابه أنه اتخذ تقسيم الثعالبي منهجاً له ، فهو يقسم الذخيرة أربعة أقسام كما قسم الثعالبي اليتيمة أربعة أقسام ، وهذا التقسيم جغرافي كتقسيم صاحبه فلكل إقليم شعراؤه مهما اختلفت منازعهم الأدبية ! فقسم لقرطبة وما يليها من وسط الأندلس وقسم لإشبيلية وماجاورها من الغرب ، وقسم لبلنسية وما يليها من الشرق وقسم أخير للوافدين من المشارقة إلى الأندلس ! وهكذا سار سير الثعالبي حين جعل اليتيمة أقساما أربعة : قسم لأشعار أهل الشام وما يجاورها ، وقسم لأشعار أهل العراق ، وقسم في محاسن أشعار أهل الجبل والقسم الرابع في محاسن أهل خراسان وما وراء النهر ، وهذا الاحتذاء السافر يتضمن اعتراف ابن بسام بمنهج أستاذه فهو في رأيه كما نقل صاحب الوفيات عنه حـ ١ ص ٥٢١ .

« كان في وقته راعي تلعات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ورأس المؤلفين في زمانه وإمام المصنفين بحكم أقرانه ، سار ذكره سير المثل ، وضربت إليه آباط الإبل ، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع النجم في الغياهب » هذا الاحتذاء المقصود دفع المعاصرين من باحثينا الأفاضل إلى موازنات مختلفة بين الرجلين ؛ فالدكتور طه حسين يقول في مقدمة الذخيرة الجزء الأول ا ـ ص ب « وهو يصطنع ما اصطنعه الثعالبي من السجع والتأنق في تقديم الشعراء والكتاب ، والتعريف بهم ، والثناء عليهم والنقد لهم ، ولكنه بعد هذا كله يخالف الثعالبي في أمر ذي خطر ، فهو أبعد منه نظراً ، وأنفذ منه بصيرة وأعمق تفكيرا ، وهو على تكلفه في اللفظ لا يخدع بالرواء الظاهر عما وراءه من جودة المعنى أو رداءته ومن صواب التفكير أو خطئه ولعله أن يكون أفقه من الثعالبي بالحياة الأدبية في إقليم من الأقاليم ، فهو أدق منه ملاحظة لما يكون من الصلة القوية بين طبيعة الإقليم ، وماينتج فيه من أدب بل بين طبيعة الأجناس البشرية وما تنتج من أدب بل بين ما يكون من مجاورة الأمم المختلفة وما تنتج من الأدب الخ » .

والأستاذ على أدهم يقول في العدد ٦٦٠ من الثقافة : ويبدو لي أن الثعالبي كان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



على فضله وسعة اطلاعه أكثر خضوعا لأحكام القدماء من ابن بسام ، وأنه كثيرا ما يخدعه البهرج ويحسب الشحم فيمن شحمه ورم ، أما ابن بسام فإنه نافذ النظر ، سليم الذوق بارع الناقدة دقيق الملاحظة ، لا يخدعه الطلاء المموه ، ولا تضل تفكيره الألفاظ الضخمة المدوية أو الطنطنة العالية » .

ومن يقرأ الذخيرة يعرف أن مؤلفها يعلم كل العلم موقفه من صاحب اليتيمة ، فهو على اعترافه بمتابعته يعلن أنه خالفه فى أمرين جوهريين : الأول ما أفاض فيه ابن بسام حين قال : المجلد الأول ، القسم الأول ص ٢٣ .

وقد وعدت فى صدر هذا الكتاب بأن أتخلل أشعار الشعراء ورسائل الكتاب والوزراء بما عسى أن يتعلق بأذيالها ويساير أفياء ظلالها ، من أنباء فتن ذلك الزمان البعيد - كان - طلقها ، المفرق لشمل الأمر فى هذه الجزيرة نسقها ، وقلع بفئة من مشهور وقائعها ونشير بأسماء طوائف زوابعها وتوابيها ، ليجمع هذا المجموع بين الشعر والخبر ، جمع الروضة بين الماء والزهر والزمان بين الأصائل والبكر ، فإنى رأيت أكثر ما ذكر الثعالبى من ذلك فى يتيمته محذوفا من أخبار قائليه ، مبتورا من الأسباب التى وصلت به وقيلت فيه فأمل قارىء كتابه منحاه وأحوجه إلى طلب ما أغفله من ذلك فى سواه » .

فهو ينعى على الثعالبى إغفال الحوادث والتواريخ ثم ينعى عليه مرة أخرى ذكر الفاحش من الأهاجى والماجن من القول فيقول بالقسم الثانى من المجلد الأول ص ٦٢ .

والقسم الثانى هو السباب الذى أحدثه جرير وطبقته وكان يقول : إذا هجوتم فأضحكوا وهذا النوع منه لم يهدم قط بيتا ، ولا عيرت به قبيلة ، وهو الذى صنا هذا المجموع عنه وأعفيناه أن يكون فيه شىء منه ، فإن أبا منصور الثعالبى كتب منه فى يتيمته ماشانه وسمه ، وبقى عليه إثمه ، ونسأل بعد ذلك ، هل تقيد ابن بسام بمنهجه ! أما الذى يعرفه قارىء الذخيرة - ما نشر منها - فهو أنه لم يقدر على الإحاطة بالتواريخ والأخبار جميعها ، ولكنه بذل الجهد المستطاع ، وبقى ما بقى مما يتطلب البحث الجديد ، كما أن قارىء الذخيرة يعرف أن ابن بسام ترخص فى ذكر بعض الماجن من القول رغم حملته على الثعالبى بل العجيب أنه قبل هذه الحملة بصحيفتين فقط ص ٦١ يذكر أبياتا قذرة يقول : إنها من الكنايات المليحة التى تعرض بأمير المؤمنين على بن أبى طالب وكان له عنها محيد .

على أن ابن بسام مع هذا لا يقارن بمعاصره الفتح بن خاقان بحال ، مهما اضطرت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



معاصرتهما كثيرا من النقاد إلى هذه المقارنة وإن عظم تأثرهما معا باليتيمة ويكفى أن نلخص السبب فى جملة واحدة هى أن ابن بسام جاد والفتح هازل ، فليس إلى إلتقائهما من سبيل!

ومن المفيد أن نوضح وجهة نظرنا فى ذلك، فننظر إليهما رجلين وأديبين ، لنرى الفتح يندفع فى استهتاره إلى ما يشين ، ثم يتطاول على الناس بالحق وبالباطل معا ، وهو حين عمد إلى التأليف لم يصدر عن رغبة فى اجتلاء حقائق الأدب والتاريخ ، ولكن اتخذ قلمه وسيلة للتكسب المقيت ! فهو يرسل إلى أدباء عصره ومشهورى مصره يحدثهم عن رغبته فى تأليف كتاب أدبى يتحدث عنهم، ويلتمس ما لديهم من الشعر والنثر ثم ينتظر ما يجىء ؛ فإن كان الرد مصحوبا بالبدر الثمينة والهدايا النفيسة أطلق أرسان المديح إلى أبعد الأشواط ، وإن تقاعس عنه ذوو الهمم ممن يأنفون أن يكونوا لعبة فى يد لاعب أو يترفعون أن يشتروا المدح الزائف بمال مقرر مفروض ! فإن الفتح يشويهم بسياطه ويستعدى عليهم الحكام والناس ، ويصدر فى كل ذلك عن ذوق مريض ! لقد أرسل إلى الوزير الفيلسوف الغابنة أبى بكر بن الصائغ المعروف بابن باجه يسأله بعض أشعاره مع ما يطمع فيه من المال ، فما التفت إلى دعوته ، ورأى فيه وصوليا يبتز المال من طريق بغيض ! ومثل ابن باجه لا يتأتى له أن يقدر سلوك الفتح وأدبه معا فهو فى الأول متسول محترف ، مع ما عرف عنه من العربدة واصطحاب السفلة وغشيان الريب ، وهو فى الثانى ينمق أسجاعا فارغة لا يراها الفيلسوف تهدف إلى جلاء حقيقة مطموسة ، أو تساعد على فهم ظاهرة مستعصية ! فما الذى يجذبه إليه مع هذه القبائح ! لقد حز على الفتح أن يهمل ويغفل فكتب فى القلائد فصلا عن الفيلسوف أملاه الحقد والضغينة والثأر قال فى مقدمته « هو رمد عين الدين وكمد نفوس المهتدين اشتهر سخفا وجنونا وترك مفروضا ومسنونا فما يتشرع ، وما يأخذ فى غير الأضاليل وما يشرع ، ناهيك من رجل ما تطهر من جنابة ، ولا أظهر مخيلة إنابة ، ولا استنجى من حدث ولا أنجى فؤاده بتوار فى جـــدث ولا أقر بباريه ومصوره ولا فرد يباريه فى ميدان تهوره ، الإساءة لديه أجدى من الإحسان ، والبهيمة عنده أهدى من الإنسان ، نظر فى تلك التعاليم ، وفكر فى أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم ورفض كتاب الله الحكيم ، واقتصر على الهيئة ، وحكم للكواكب بالتدبير ، واجترأ عند سماع النهى والإيعاد ، واستهزأ بقوله تعالى « إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى ميعاد » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



ولو كان الفتح يعتقد ذلك فى ابن باجه عن صدق وإخلاص لوجد العذر من الناس فى تسجيل ما سطر ، وافق الحق أو جافاه ، ولكنه كشف نفسه حين تراجع الوزير عن موقفه منه كفا اشره فنفحه ببعض المال ، فأطفأ جذوة غضبه، واندفع إلى كتابة جديدة ملأها بالثناء الحافل ، ولم يدخر وسعا فى تنميق صفحة مضادة للأولى فى كتابه مطمح الأنفس يقول فيها عنه :

« نور فهم ساطع وبرهان علم لكل حجة قاطع ، تتوجت بعصره الأعصار ، وتأرجت من طيب ذكره الأمصار ، وقام وزن المعارف واعتدل ، ومال للأفهام فننا وتهدل إذا قدح زند فهمه أورى بشرر الجهل محرق ، وإن طما بحر خاطره فهو لكل شىء مغرق ، مع نزاهة النفس وصونها ، وبعد النفاد من كونها ، والتحقيق الذى هو للإيمان شقيق ، والجد ، الذى يخلق العمر وهو مستجد ، وله أدب يود عطارد أن يلتحفه ، ومذهب يثمنى المشترى أن يعرفه ، ونظم تعشقه اللبات والنحور ، وتدميه مع نفاسة جوهرها البحور » .

هذان نصان متعارضان يكشفان عن معدن الرجل ! وهما أيضا يكشفان عن خصائص أدبه ، ولا يشرفانه فى مجال الموازنة بينه وبين معاصره ابن بسام إذ أن صاحب الذخيرة قد تجافى عن بعض أخطاء يتيمة الدهر حين حاول تقييد الحوادث وتسجيل التواريخ ما استطاع !! أما الفتح فقد فهم بتأثير اليتيمة من ناحية ، وطبيعة الجو السائد من ناحية ثانية أن الكتابة معارض ألفاظ ، ومتاحف أسجاع ، وتطبيقات مدرسية للجناس والطباق والتورية ! أما أن تكشف عن حقيقة ، أو توضح فكرة ، فهذا مالا يبتغيه الفتح أو يعتقده ! ومع هذا فقد وجد من الأدباء من يقبلون تنميقه ، ويرتضون تلفيقه ، فلسان الدين بن الخطيب يقول عنه : « كان آية من آيات البلاغة لا يشق غباره ولا يدرك شأوه عذب الألفاظ ناصعها ، أصيل المعانى وثيقها لعوبا بأطراف الكلام ، معجزا فى باب الحلى والصفات » وابن سعيد يقول فى المغرب عنه : الدهر من رواة قلائده وحملة فرائده ، طلع من الأفق الأشبيلى شمسا طبق الآفاق ضياؤها وعم المشرق والمغرب سناها وسناؤها وكان فى الأدب أرفع الأعلام ، وحسنة الأيام ... وهو وأبو الحسن بن بسام صاحب الذخيرة فارسا هذا الأوان ، وكلاهما قس وسحبان ، إلا أن ابن بسام أكثر تقييدا ، وعلما مفيدا وإطنابا فى الأخبار ، وإمتاعا فى الأسماع والأبصار ، والفتح أقدر على البلاغة من غير تكلف وكلامه أكثر تعلقا وتعشقا بالأنفس ! »

ويزول العجب من هذين القولين حين نعرف أن لسان الدين بن الخطيب وابن سعيد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



المغربى كليهما من تلاميذة الثعالبى وهـواة اليتيمة ! وخطتهما فى التأليف ترتضى الإكثار من القول والمباهاة بالزركشة اللفظية والزخرفة البديعية ! وذلك داء العصر ومنحاه ، فلا غرو أن هاما بأسلوب الفتح بن خاقان ! ولو رجع بهما الزمن إلى هـذا العصر لسمعا الدكتور أحمد أمين يقول عن صاحب القلائد فى ظهر الإسلام حـ ٣ ص ٢٨٣ :

(وأسلوب الذخيرة أقرب إلى نفوسنا فهو لا يلتزم السجع كما يفعل ابن خاقان ، وأسلوب الفتح هـــذا أجوف يلعب بالألفاظ والاستعارات لعب البهلوان ! !

لقد شغلت منذ أعوام بدراسة الفلسفة الإسلامية بالأندلس ، فطالعت نبذا من آراء ابن باجه وابن طفيل وابن رشد ، وعرفت أن هناك فيلسوفا آخر هو الفضل بن شرف فحاولت أن أقف على سيرته ، وطفقت أبحث عنه فى كتب التراجم ، حتى عثرت على قول الفتـــح .

« الناظم الناثر ، الكثير المعالى والمآثر ، الذى لايدرك باعه ، ولايترك اقتفـــاؤه وأتباعه ، إن نثر رأيته بحرا يزخر ، وإن نظم وقلد الأجياد درا تباهى به وتفخر ، وإن تكلم فى علوم الأوائل بهرج الأذهان والألباب ، وولج منها فى كل باب ، وقد كان أول ما نجم بالأندلس وظهر ، وعرف بحرك القريض واشتهر ، تسدد إليه السهام ، وتنقده الخواطر والأوهام فلا يصاب له غرض ، ولا يوجد فى جوهر إحسانه عرض وهو اليوم بدر هذه الآفاق ، وموقف الاختلاف والاتفاق ، مع جرى فى ميدان الطلب إلى منتهاه ، وتصرف بين سمـــاكه وسهاه ، وتصانيف فى الحكم ألف منها ما ألف ، وتقدم فيها وما تخلف ، فمنها كتابه المسمى « يسر البر » ومنها الكتاب الملقب بنجع النصح ، وسواها من تصانيف اشتمل عليها الأوان وحواها » هـذا كله ماقاله الفتح ، وقد أخذت أضرب كفا بكف بعد قراءته ، وأسال نفسى : ماذا قدم لى المؤرخ الكبير غير بديع وسجاع وزركشة وابتداع ؟! وكان مما أسعدنى أن أجد الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى صاحب مجلة البيان رحمه الله يحار مع الفتح حيرتى ، وينشر مقالا بالرسالة ( ١٤٩ ) سنة ١٩٣٦ يقول فيه بعد أن نقل كلام الفتح « وقد جرى الفتح فى هذه الترجمـــة على شفشنته فى سائر تراجمه ، فلم يذكر اسم المترجم له ولا اسم أبيه ولا منشأه فضلا عن أنه أغفل تاريخ مولده ووفاته ، كذلك لم نر لغير الفتح ترجمة لهذا الأديب الكبير يصح أن تسمى ترجمة يعول عليها » . اهـ)

تأصلت إذن طريقة اليتيمة فى المؤلفات الأندلسية ، احتذاها الفتح شبرا بشبر ، ووقع فى بعض أخطائها ابن بسام ، ولولا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



تشبه بمؤلفات ابن حيان لجعلها هو الآخر مثالا يحتذيه أما الحجـــاوى وابن سعيد والمراكشى وابن الخطيب والمقرى ، وأما أضرابهم من مؤرخى عصر الطوائف وما يليه فقد أصابهم من تأثيرها الساحر ما لا نزال نرى عقابيله فيما نقرأ لهم من التصانيف ، ! ولم يقتصر نمط اليتيمة على الأفق الأندلسى وحده ، ولكن بريقه الساطع قد جذب إليه مترجمى المشارقة ممن فتنوا به ، ونسجوا على منواله ، لقد حاول أبو منصور أن يجعل اليتيمة بأجزائها الأربعة ذيلا لكتاب البارع فى أخبار الشعراء الذى تقدم به هرون بن على بن المنجم المتوفى ٢٨٨ هـ » .

ثم جاء من بعد الثعالبى أبو الحسن على بن الحسين الباخرزى المتوفى سنة ٤٦٧ هـ وألف كتابه دمية القصر وقد جعله ذيلا لليتيمة نهج به نهجه وقلد عبارته وأسجاعه ثم جاء أبو المعالى سعد بن على الوراق الخطيرى المتوفى ٥٦٨ هـ وصنف كتاب (زينة الدهر) جاعلا إياه ذيلا على كتاب الباخرزى دمية القصر ثم ظهر الكاتب الأشهر العماد الأصفهانى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ فأصدر خريدة القصر وجريدة أهل العصر ... وكل هذه الذيول المطولة تنهل من مورد الثعالبى ، وتنهج نهجه !! وهى بعد مشرقية لا أندلسية ، ثم توالت المؤلفات التاريخية تحمل الطابع البديعى وكان العصر المملوكى فى الشرق وعصور الزوال بالأندلس قد استطابت هذا اللون وارتضته عن إجماع لا يخرج عنه إلا كاتب عبقرى كابن خلدون ! !

كان أبو منصور الثعالبى يبذل جهده الحافل فى جمع الأشعار البعيدة ، وسؤال من يلقاهم عمن يعرفون من الشعراء ، وإذا صادف أديبا مصريا أو أندلسيا أو فارسيا فرح به وأخذ ينقل عنه ما يروى ، وأنت تقرأ بعض تراجمه للشعراء ، فتجده لا يكاد يعرف عن الشاعر شيئا إلا ما سمع من أشعار ، فيضطر اضطرارا أن يكتب له ترجمة إنشائية تنحو منحى المقامات ، وتصلح لكل شاعر ينظم الشعر ، كما تباع الملابس فى المحلات التجارية ، ليشترى منها الآباء لأبنائهم غيباً ما يخالونه يتناسب ، وقد يلبس الابن حلته المشتراة فإذا بها ليست مما يصلح له ، ولكنه مضطر إلى ارتدائها ، كما اضطر القارىء أن يقبل تراجم الثعالبى للشعراء فى اليتيمة وإن لم تبرز قسماتهم وشياتهم على اتضاح ، والحق أن صاحب اليتيمة بذل طاقة قوية فى حفظ تراث الشعراء من بنى عصره ، ولولاه ما استطعنا أن نعرف شيئا عن أكثر من روى لهم من الشعراء لأن المغمورين لديه أضعاف أضعاف المشهورين ! ولكن طريقته فى السؤال عن الأدباء واستهدائهم بعض أشعارهم قد انتقلت إلى من بعده ، فكان ابن بسام يكتب لأدباء زمانه طالباً نماذج

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



قوية من أشعارهم ليضمها إلى الذخيرة ، فيفد إليه ما يريد ! وكل مسئول لا محالة يهدى من قوله أطيب ما يستحسن فى رأيه، وهذا حسن إذا جاء الأمر من بابه ، ولكنه انقلب تسولا شائنا على يد الفتح بن خاقان بل صار أداة إرهاب ومجو واستعداء ، وأذكر أن الطبيب الذائع والفيلسوف الماهر أبا العلاء زهر لم يقبل أن يجيبه على شيء ، فكتب الفتح رسالة فاحشة فى ثلبه وتقدم بها إلى أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين ، محاولا أن يتهمه بالإلحاد والمروق ، كما أن طريقة الثعالبي فى الاعتماد على الوافدين غير مأمونة فقد يروى أديب لشاعر ماليس له عن قصد وعن غير قصد ! ولابد أن تكون هناك نماذج كثيرة فى اليتيمة والدمية والخريدة والذخيرة والقلائد والمطمح ليست لأصحابها على وجه التأكيد، مهما يكن من شيء فنحن فى معرض إنصاف الثعالبي نقرر أنه بذل أقصى ما يستطيع ، وأن هيامه بالأدب قد دفعه إلى تشييد معقل قوى من معاقله حفظ جانبا من تراث القرنين الرابع والخامس معا؟ أما قصور تراجمه وتراجم من بعده عن أن تقدم التاريخ الحى فى أكثر ما درج ، فيواجهنا بمهمة خطيرة ، إذ ينبغى أن يحرص ناشرو هذه المجلدات من علمائنا المحققين على استيفاء النقص ما أمكن ، فلابد - إن صدق الناشر المحقق فى إخراجه - أن يضع فى هامش كل ترجمة مايصل إليه جهده الباحث من أخبار صاحبها ذاكرا ما وقف عليه من المراجع والمصادر! فإذا اتجه أصلاء المحققين من الناشرين هذه الوجهة فلابد أنهم سيجدون الجيد المفيد ، ولك أن تتصور معى اليتيمة والخريدة وأضرابهما وقد عولجت هذا العلاج ، فأكملت ما تيسر من النقص ؛ وأصبحت مرجعا أدبيا وتاريخيا معا ؟ ومن الحق أن بعض من ترجم لهم فى هذه الموسوعات لا نجد من المصادر المعاصرة ما يمدنا عنهم بشيء ، ولكن من الحق أيضا أن كثيرا من هؤلاء قد كتب عنهم فهم يتطلبون عناية المحقق واهتمامه ، إن كان كفئا لعمله إذ من المقرر أن يضطلع بالنشر بحاثة متمرس ضليع قواد أما الذين يكتفون بالنشر الخاطف فهم وراقون !

لقد نشر الأستاذ الجليل أحمد يوسف نجاتى رحمه الله تسعة أجزاء من كتاب نفح الطيب عن دار المأمون قام بتحقيقها واستيفاء النقص فيما ورد من تراجمه ، فلم تكاده عقبة ما فى طريقه بل كان اطلاعه الثاقب الشامل - وإن أسرف أحيانا - يمده بجميع ما يريد ، ولو صدق محققو التراث الأدبى صدق الأستاذ نجاتى لتلافوا النقص ، وقوموا المائل ، ومهدوا الطريق . . .

محمد رجب البيومى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# من شيم العلماء وشغفهم بالعلم

للأستاذ محمود الشرقاوى

— ٢ —

« إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور » .

هذه الآية الكريمة كانت وما تزال وستبقى بقاء الدهر هاديا ونبراساً لكل عالم يضئ قلبه بنور الإيمان والعلم ، وتعتز نفسه ، ويوقن ضميره بأن خشية الله تمنعه أن يخشى سواه ، وأن الله مانحه العزة — والعزة لله جميعاً — جزاء شجاعته فى الحق ، وخشيته له وحده ، وقد رأينا أمثلة من ذلك فى مقالنا السابق .

وفى تاريخ علمائنا أمثلة تفوق الحصر نستوحى منها ما يجب أن توحيه من العظة والعبرة واستلهام القدوة .

١ — قصة يعرفها مؤرخو الفقه والحديث ومؤرخو الإمام مالك على وجه خاص : خلاصتها أن مالكا روى حديثاً عن رسول الله عليه السلام يقول : ( ليس على مستكره طلاق ) وكان أبو جعفر المنصور يأخذ لنفسه البيعة من الناس ويحلفون له بذلك ، وأراد خصوم مالك أن يكيدوا له فدسوا عليه بأنه يقصد بروايته لحديث بطلان الطلاق من المقسمين به : البيعة . حتى يتحلل المقسمون من قسمهم وبيعتهم .

واستمع جعفر بن سليمان ، والى المدينة من قبل أبى جعفر إلى كيدهم فطلب إلى مالك أن يكف عن رواية هذا الحديث ، وزاد الأمر شدة وتعقيدا ، كما زاد جعفرا سخطاً وغضباً ، أن خرج على الخليفة — فى الوقت نفسه — محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية ، وأخذ يدعو لنفسه ، فأمر جعفر مالكا أن يكف عن حديثه ، ولا يرويه لأحد ، ولكن مالكا أبى أن يكتم حديثاً تحقق روايته وثبوته عن رسول الله ، فجاء به جعفر . وطرحه على الأرض ، وأمر بأن يضرب بالسياط ، وضرب مالك ، وشدت يده حتى انخلعت كتفاه ، ولكنه صبر على المحنة ، وأبى أن يخشى إلا الله ، وأن يخون أمانة العلم ، وتناقل الناس ما حل بمالك ، فسخطوا وبلغ سخطهم مسامع الخليفة فلما قدم للحج دعا إليه مالكا ، واعتذر له بكلمات صادقة غاضبة يقول فيها : والله ما أمرت بالذى كان ولا علمته ، وقد أمرت بعدو الله جعفر أن يؤتى به على قتب : « رحل » وأمرت بضيق محبسه والمبالغة فى امتهانه ، ولا بد أن أنزل به من العقوبة أضعاف ما نالك منه ) .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



ولكننا نجد مالكا وقد سمت نفسه إلى مثل عليا كريمة يطلب إلى الخليفة أن يعفو عن جعفر لقرابته من رسول الله ومن الخليفة .

وشبيه بهذه القصة ما جرى للإمام أحمد فى المحنة المشهورة : « خلق القرآن » .

٢ — وروى السيوطى أن الملك الكامل أراد أن يشهد فى قضية أمام القاضى ابن عين الدولة ، فقال له القاضى : السلطان يأمر ولا يشهد ، وأخذ السلطان يجادله حتى قال له : أما تريد أن تقبل شهادتى ... ؟ قال القاضى : لا أقبلها وأنا أعرف أن المغنية « عجيبة » تصعد إليك كل ليلة فتسمع غناءها وتمايلها إلى الصبح ... ؟ وغضب الملك فوجه القاضى - بالفارسية - كلمة شتم ، وأدرك الشيخ ذلك فأعلن عزل نفسه عن القضاء ، وأشهد من حضر المجلس على هذا العزل ، ونهض بعضهم إلى السلطان يخوفه عاقبة ذلك ، فقام السلطان بنفسه إلى الشيخ فترضاه وطلب إليه أن يبقى فى القضاء .

٣ — وعاد جيش ( بيبرس الجاشنكير ) و ( سلار ) نائبى السلطان المظفر ( قطز ) مهزوما من إحدى وقائع التتار فى سوريا لم ينتصر كما انتصر قبله جيش سابق ، وأراد الأميران أن يجمعا مالا من الشعب ليعاودا الحرب ، فوقف لهما ابن دقيق العيد وأبى عليهما ذلك ، وقال رجل من المنافقين : إن شيخ الإسلام العز بن عبد السلام أفتى بذلك للسلطان من قبل ، فقال ابن دقيق العيد : إن شيخنا العز بن عبد السلام لم يفعل ذلك إلا بعد أن جمع ( قطز ) كل ما عنده وعند حريمه وأمرائه من الجواهر والأموال قبل أن يجمع شيئا من الشعب ، وكيف أبيح الآن لنائبى السلطان أن يأخذا أموال الشعب وأنا أعرف أن الأمراء يكنزون الذهب والجوهر ، وأن بعضهم كان فى جهاز بنته الكثير من الذهب واللؤلؤ وأوانى الفضة الخالصة ، ومنهم من يضع الجواهر فى (شبشب) زوجته ، يريد الأمير بيبرس ، والله لا أفعل ذلك أبدا ولا أفتى به .

(٤) وكان حكام مصر ، فى القرن الماضى ، من الجهل والغفلة والبلاهة بحيث يعتقدون أن ( تلاوة ) البخارى - مع ضعف العتاد ونقص الاستعداد - تكفل لجيوشهم النصر كأنهم لم يقرءوا ولم يسمعوا قول الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

كانت الحرب تدور بين مصر والحبشة ، ووقعت هزائم كبيرة على جيش إسماعيل ، وخرج هذا يوما ومعه رئيس وزرائه شريف باشا وهو ضيق الصدر لما وقع بجيشه ، وتحدث إلى شريف فى أن يرشده ويشير عليه ، فقال له شريف : إنى إذا ضقت بشىء أو وقع لى مكروه دعوت العلماء الأطهار فقرءوا صحيح البخارى فتنفرج الغمة . عند

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



ذلك أمره إسماعيل أن يكلم فى ذلك الشيخ العروسى شيخ الأزهر واجتمع العلماء أمام (القبلة القديمة) فى الأزهر يتلون صحيح البخارى ، ولكن الهزائم ظلت تتوالى على جيش إسماعيل ، فذهب إسماعيل ومعه وزيره شريف إلى مجلس العلماء ، وقال لهم وهو غاضب : إما أن هذا الذى تقرءون ليس صحيح البخارى وإما أن تكونوا لستم من العلماء الصالحين فإن الله لم يدفع بتلاوتكم شيئا ، فوجم الشيوخ وبهتوا ، ولكن صوتا من آخر الصف علا وجبه إسماعيل ووزيره بقوله : منك يا إسماعيل فإنا حفظنا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم ) .

وترك إسماعيل ووزيره مجلس العلماء واجمين ، ثم طلب إسماعيل أن يرى الشيخ فى قصره ، فلما دخل عليه طلب إليه أن يعيد ما سمعه منه فى « الأزهر » فأعاده ، ثم أخذ يلقى على سمع إسماعيل ما صنع من الشر والخروج على الشريعة ، ثم قال بعد ذلك : ما ذنب البخارى وما حيلة العلماء . . ؟ وكان إسماعيل يسمع ، وهو مطرق صامت لا يجيب .

هؤلاء العلماء قد استمعوا واتتموا بالآية الكريمة : إنما يخشى الله من عباده العلماء ، وكانت لهم أسوة وقدوة فى هذه الكلمة المؤمنة الشجاعة التى قالها أبو ذر : (والله لو وضعتم الصمصامة على هذه - وأشار إلى قفاه - ثم ظننت أنى أنفذ كلمة سمعتها عن النبى عليه السلام قبل أن تجيزوا على لأنفذتها ) .

كرم وسماحة :

كذلك من شيم العلماء أن يكونوا كرماء سمحة نفوسهم .

١ — ذكر القرطبى ، صاحب التفسير ، أن الإمام الشافعى كان يمشى بثوب واحد وعلى رأسه طاقية ، ومع ذلك كان يفرق ما يرد إليه من الهبات الضخمة الكبيرة عند ورودها إليه ، ولا يفارق مجلسه قبل أن يفرقها .

٢ — وكان أبو حنيفة يتاجر ويجمع ربحه فيشترى به لشيوخ المحدثين حاجتهم ثم يعطيهم ما بقى ويقول لهم : لا تحمدوا إلا الله فإنى ما أعطيتكم شيئا من مالى ، فهو فضل الله عليكم يجريه على يدى .

وكان - كما وصفه تلميذه أبو يوسف - لا يكاد يسأل عن حاجة إلا قضاها .

ويقول سفيان بن عيينة إن أبا حنيفة : ( وجه إلى هدايا استوحشت من كثرتها ، فشكوت ذلك لبعض أصحابى فقال : لو رأيت ما بعث به إلى سعيد بن أبى عروبة ) .

ويقول إنه ما كان يدع أحداً من المحدثين إلا بره برا واسعا .

٣ — وكان الشيخ قاضى القضاة « ابن دقيق العيد » فقيراً يصفه مؤرخوه بأنه كان يستدين ، أكثر أيامه ، وذكر المقريزى أنه - وهو قاضى القضاة - طلب من زوجته

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



درهما يشترى شمعة فلم تجد ، ومن شعره يصف حاجته وفقره :

لعمرى لقد قاسيت بالفقر شدة
وقعت بها فى حيرة وشتات
فإن بحت بالشكوى هتكت مروءتى
وإن لم أبح بالصبر ، خفت مماتى
فأعظم به من نازل جلة
يزيل حياتى أو يزيل حياتى

ولكنه ، مع هذا الشمم وهذه الصيانة ، كان يبذل من ماله القليل فى معونة المحتاجين من تلاميذه ومعارفه . يقول تلميذه القونى : إنه كان يعطيه فى كثير من الأوقات الدراهم والدنانير . ويقول أحد نوابه فى القضاء - وهو الشيخ نجم الدين محمد عتيل - إنه عندما اختاره نائبا أعطاه مائتى درهم . ومن قصص كرمه وسماحته ما تحدث به تلميذه محمد الحواسيبي القوصى ، حيث يقول : كان الشيخ يعطينى فى كل وقت شيئا من المال ، على قدر ما يستطيع ، وأصبحت يوما مفلسا فأرسلت إليه ورقة كتبت فيها : تلميذك محمد القوصى فى شدة ، فأرسل لى مالا . وفى اليوم الثانى أرسلت إليه ورقة كتبت فيها : تلميذك محمد الحواسيبي فى شدة ، فأرسل لى مالا ، وفى اليوم الثالث كتبت له : تلميذك محمد فى شدة ، فأرسل يطلبنى ، ثم قال لى : محمد القوصى أعرف أنه أنت ، فمن هو محمد الحواسيبي . . ؟ قلت : أنا ، فقال : ومن محمد الثالث . . ؟ فقلت : أنا . . ! فقال : تكذب على وتدلس . . ؟ ! قلت الضرورة والحاجة ياشيخى رفع الله عنك الضر ، فضحك وأعطانى .

* * *

هذه الشمائل الغراء والشيم الكريمة وضعت العلماء فى تلك المكانة الشامخة والمنزلة السامية والكرامة العزيزة التى تدرك مداها من هاتين القصتين :

١ - الخليفة « المعتضد » يطوف فى بستان ، ومعه ثابت بن قرة الحرانى ، وكان الخليفة يضع يده فى يد ثابت وهما يسيران ، ثم جذب يده من يد ثابت فقال ثابت : ما بدا يا أمير المؤمنين . ؟ وأجابه الخليفة : كانت يدى فوق يدك ، والعلم يعلو ولا يعلى .

٢ - دخل خوارزم شاه يوما قصره وهو راكب ، وكان أبو الريحان البيرونى داخل القصر فطلب أن يراه . وأبطأ البيرونى قليلا فظن خوارزم شاه أن البيرونى قد ساءه أن يستدعيه ، وثنى عنان فرسه ليذهب إليه وشاهد البيرونى وهو قادم ، وهم أن ينزل من على ظهر فرسه ، ولكن البيرونى سارع إليه وأقسم عليه ألا يفعل ، فأنشد خوارزم شاه :

العلم من أشرف الولايات
يأتيه كل الورى ، ولا يأتى

ثم قال : لولا رسوم الملك ما استدعيتك . فالعلم يعلو ولا يعلى ؟

محمود الشرقاوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# الإقليمية في الأدب

للأستاذ محمد كامل الفقي

— ٢ —

لعل من إقليمية الأدب الناشئة بعدا قسام الدولة العباسية إلى دويلات ، ما انطبع به الأدب العربي في عصر الفاطميين من أسلوب الدعاية وفرض الشعر في تمجيد الفاطميين وحكمهم ، بما هو تجاوب واضح مع ارتياح الشعراء للعطاء الجزل ، والمثوبة الخصبة ، وبما هو صدى لأعياد الفاطميين ومواسمهم ، إذ أبقوا على الأعياد المألوفة من قبل ، وزادوا عليها عشرات وعشرات ، فلهم مع عيدي الفطر والأضحى ، عيد رأس السنة ، ويوم عاشوراء ، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومولد علي كرم الله وجهه ، ومولد الحسن ومولد الحسين رضي الله عنهما ، ومولد فاطمة الزهراء ومولد الخليفة ( الحاضر ) ، وأول رجب ، وأول شعبان ، ونصف شعبان ، وغرة رمضان ، وسماط رمضان ، وليلة الختم وعيد الغدير ، وكسوة الشتاء ، وكسوة الصيف وفتح الخليج ، ويوم النيروز ، ويوم الغطاس ويوم الميلاد ، وغير ذلك ، مما يدخل البهجة على الأمة ، ويربط بينها وبين الحكام بأواصر ويهيئ للشعراء مواسم بر ، وموائد كرم .

إذ ذاك يركب الخليفة في زي فاخر ، وموكب فخم وينثر الأعطية والمنح ، فيكون ذلك ملهما للشعراء أن يجيدوا المدائح ويتسابقوا إليها .

حتى النثر الفاطمي كان مرآة لحياة الترف الماثلة في القصور ، والفن والزينة البادية فيها وفي المساجد والمدارس والمكتبات مما لا يزال في مرأى العين حتى أيامنا هذه .

وليس في الإمكان أن يحيا الأديب والشاعر بمعزل عن مظاهر الفن وسماته ، فإنه يمعن فيها نظره ويملأ من مفاتنه عينيه ، وتشرق من خصائص الفن سمات في شعره لا يعز على الذواق أن يجتليها .

وإن ذلك ليذكرنا بما كان في العصر المملوكي إذ بدت الإقليمية في الأساليب الإنشائية من هندسة اللفظ وزخرفته وتحليته ، فقد كان الشعب يرزح تحت حكم غاشم ، فاضطر الأدباء إلى تنميق الأساليب ، وتحوير الألفاظ ، وحشد ألوان الصناعة كالتورية والاستخدام ، والتلميح والإشارات والشكك ، ليخفي في أستار ذلك ما في النفس من غيظ وحنق على حكم لا يجد الناس حيلة في الخلاص منه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



إلا بعمل جاد تكون هذه الأساليب دعوة له وتهيئة إليه .

ذلك إلى أن نفوس الأدباء انطبعت فيها مرائى الزينة فى المبانى والمساجد والقصور وغيرها . فكانت تلك إقليمية فى أدب المماليك لا يغرب عن الذواق أن يميزه بها من سواه من أدب العصور .

هذا ولا ننسى ما اصطبغ به الشعر الفاطمى من صبغة تعليمية ، فقد استغله الشعراء فى ترويج المذهب الفاطمى ، وساقوه حججا وبراهين يدعمون بها رأى الشيعة ، وقد رأينا ابن هانىء الأندلسى ، يؤيد فى شعره عقائد الإسماعيلية ، ويلهم الشعراء كيف يمدحون الخلفاء الفاطميين من ناحية عقائدهم ، ولعل ذلك سر إيثار الفاطميين له ، واعتزازهم به ، وتعويلهم عليه ، فقد أحلوه من أنفسهم المحل الذى أحل به كل شاعر معه ، وعظمت الفجيعة فيه ، حتى قال المعز حين بلغه خبر موته : لا حول ولا قوة إلا بالله ، هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك .

وابن هانىء ، هو الذى يقول مؤيداً هذه العقائد ، ومؤسساً نظرية الدعوة :

أنت الورى فاعمر حياة الورى
باسم من الدعوة مشتق (١)

ويقول :

قد كان ينذر بالوعيد لطول ما
أصغى إليك وعلم التأويلا (١)

ويقول :

أهل النبوة والرسالة والهدى
فى البينات وسادة أطهار
والوحى والتأويل والتحريم
سم لا خلف ولا إنكار

ويقول :

ماذا تريد من الكتاب نواصب
ولها ظهور دونها وبطون

فى الأبيات التى مرت بك تأكيد من ابن هانىء ، لعقيدة الفاطميين الشيعيين فى أن للشريعة ظاهراً وباطنا ، وأن التأويل لا يعلمه إلا الله ورسوله وخلفاؤه القائمون من قبله إماما فى إثر إمام ، وسائر الناس يتحذون علم التأويل من هؤلاء كل على قدر استعداده .

وهو الذى يقول أيضا فى بث هذه العقائد وإثباتها :

إذا كان أمن يشمل الأرض كلها
فلا بد فيها من دليل مقدم

ويقول :

لولاك لم يكن التفكر واعظا
والعقل رشدا والقياس دليلا

(١) يقول للممدوح : أنت الناس جميعا ، فاعمر حياتهم بمهمة ، وإنك داع إلى الله يدعوهم إلى الهدى

(١) الضمير فى كان يعود إلى السيف ، والمعنى كان سيفك ينذر بالوعيد ويعلم التأويل لطول مصاحبته لك واستماعه لبيانك .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



لو لم تكن سكن البلاد تضعضعت
وتزايلت أركانها تزييلا

فهو يؤسس أيضا الدعوة ونظرية الإمامة والعصمة للأئمة ، وعلم الإمام بالحقائق ، وأنه مظهر من نور الله .

ففى هذا السلوك فى الشعر الفاطمى سمات ومعالم فى الشعر ، وحدود تحجزه عما سواه ، وإقليمية ترى فيها خصائص وقومية .

ولا ننسى فى الحديث عن النثر الفنى فى العهد الطولونى أن نقول: إن حظه كان أعظم من حظ الشعر ، وأن ذلك يتجلى كما يقول المرحوم الأستاذ ( أحمد أمين ) فى رسائل ( ابن عبدكان ) ، ككتابه الذى كتبه على لسان ( أحمد بن طولون ) لابنه حين خرج عليه : « ففيه المسحة العراقية : جمعت بين طول نفس الجاحظ ، وجزالة عمرو ابن مسعدة . مع ميل إلى السجع كثيراً ، والمزاوجة دائما ، وإطناب فى اللفظ ، وتكرار فى المعنى » ، فأنت ترى فى النثر فى بعض الأمصار « مسحة عراقية » لها سمات ومزايا ، وليس ذلك فيما نفهمه إلا إقليمية فى أدب ، بمعنى أنها خاصية فى أسلوب أحد الأقاليم .

وقد قيل فى الحديث عن ( الحسن ابن عبد السلام ) الشاعر المصرى فى العهد الفاطمى : إنه ربما ظهرت مصريته فى ميله إلى الفكاهة .

وإذا رجعت إلى حكم السلاجقة الأتراك وأمعنت النظر فى طابعه المميز . وجدت مظهر الشكوى والأنين من الشعراء . وسمعت من ثنايا الشعر ضجرهم وضيقهم بالحرمان فى هذا العهد . رغم تذكيرهم الولاة . وبسط اليد وذل السؤال . حتى لو ألقى إليك شعر دون نسبة لعصره ما شق على سمعك وعلى ذوقك رده إلى حكم السلاجقة .

هذه إقليمية فى أدب الممالك الإسلامية فى العصر العباسى الثانى . ترى فيها تميزا لأدب قطر على قطر ، ولشعر مصر على شعر مصر وإن كان الكل يجرى على نطاق الدولة العربية التى تزهو حينا وتخمل حينا آخر .

وبهذا الذى سقناه يتضح أن لكل إقليم طابعا خاصا فى أدبه يخضع لأسلوب حياته وشتى ملابساته . وفى هذا المعنى يقول ( عبد الكريم النهشلى ) أحد أدباء المغرب « وقد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد ، فيحسن فى وقت ما لا يحسن فى آخر . ويستحق عند بلد ما لا يستحق عند أهل غيره ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله . بعد أن لا تخرج من حسن الاستواء . وحد الاعتدال . وجودة الصيغة وربما استعملت فى بلد ألفاظ لا تستعمل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



كثيرا فى غيره . كاستعمال أهل البصره بعض كلام أهل فارس فى أشعارهم ونوادر حكاياتهم» .

ويقول بعض مؤلفى الأدب المعاصرين فى الحديث عن الحواضر التى صارت بعد الانقسام مزاحمة لبغداد ، « وكان أن توزع الشعراء على الأقاليم أكثر مما توزع الأدباء والعلماء فصار لشعراء كل إقليم من المزايا والخواص ما لم يكن لسائر الشعراء »[1] .

ولنا أن نتساءل بعد أن أشرقت معالم الإقليمية إلى أى مدى كانت ؟ أكان بها تمام التغاير فى الأدب ، ونهاية التخالف والتضاد . أم أنها كانت هينة الشأن ، تبدو فى خفر واستحياء وترى ويرى معها السمت العربى والأسلوب العربى فى كل حال ؟ .

الحق أن الأدباء لم يتسللوا من إهابهم العربى مهما انبثوا فى هذه الأقاليم ، ومهما أتيحت لهم فرص الهجرة والانتقال . ومهما كابدوا من من الحكم الدخيل فارسيا كان أو تركيا .

صحيح أن الأحداث التى شتتت شمل العربى أضعفت شأن الجزيرة العربية وانتهت بها إلى شبه عزلة أخرتها ماديا وعلميا حتى قال المقدسى ، حين وصف لغة أهل الجزيرة العربية : « وأهل هذا الإقليم لغتهم العربية إلا بصحار ، فإن نداءهم وكلامهم بالفارسية وأكثر أهل عدن وجدة فرس ... »

ولكن هيهات العلماء والأدباء إذ ذاك ماظلت الصلة به قوية بين الأمصار ، وما تهنه من حدة التفرق والتصدع ، فقد كان من مظاهر الحركة العلمية والأدبية فى هذا العصر أن يهاجر العلماء والأدباء من قطر إلى قطر لايصرفهم عن ذلك عناء ولا تعب ، وصار تقليدا مرعيا بينهم أن يهرع العالم إلى بلد أخيه يأخذ منه وينقل عنه .

وبلغ الغاية فى ذلك المحدثون ، فقد كان أحدهم يقطع الأرض جادا فى طلب الحديث والتثبت منه ، وما تطير شهرة عالم فى بلد حتى يصبح كعبة يؤمها القصاد ، والمثل فى ذلك بالإمام البخارى الذى جاب ما بين مدن خراسان والجبال والعراق والحجاز والشام ومصر ، يأخذ ويناقش ويصوب ويتحرى وهو فى هذا المنهج المشكور أسوة وقدوة .

فإذا ما فتحت بلد فشد ما يهرع إليها العلماء والأدباء والفقهاء ينشرون بين ربوعها العلم والأدب والفقه ، فتراها بين ومضات بيئة خصبة تنبت وتزهر ، وآية ذلك صقلية التى صارت مركزا من مراكز الإشعاع الفكرى حيث طار إليها العلماء والأدباء على أثر الفتح الإسلامى لها ، فإذا هى متقبلة هذه النهضة فى حرص وانتفاع .

---

(١) تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الثانى للأستاذ السباعى بيومى ص ٤٢٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



كذلك كان لإنشاء الطرق وتعبيدها وإقامة الرباطات والأديار فى الدولة العباسية بين بلد وآخر لتسهيل التجارة وتنظيم البريد أعظم الأثر فى تقريب أطراف المملكة الإسلامية وتذليل العقبات للرحلين المهاجرين مما مزج بين البلاد المتنائية ، وعبد طريق الهجرة بين العلماء والأدباء ، حتى ليكأن المملكة الإسلامية وحدة متلاصقة على تعدد الملوك والحكام واختلاف أجناسهم ، فإن كلا من العلماء والأدباء والفنانين لا يبالون بالحدود التى توسمها السياسة ، ويرى أكثر هؤلاء أن اللغة والدين أقوى وأشد بأسا .

لذلك ضعفت الشخصية الإقليمية وهانت الفوارق بين مصر ومصر ، فلم نجد إلا قليلا تميزا ظاهر لعلم مصر وأدبها على علم العراق وأدبه . أو علم خراسان وأدبه ، وما وراء النهر والسند وأدبهما .

نجدها كلها متقاربة لاتفاقهم جميعا فى الدين واللغة والجنس ، ولأن رحلة العلماء وشدة الاتصال قربت بين الفروق ، وما يظهر امتياز فى ناحيـــة ما إلا استمدته الناحية الأخرى وجودته واستغلته ، والشعراء القائمون على أبواب الملوك والأمراء ينتقلون من بلاط إلى بلاط فيوحدون مناهج الشعر .

كذلك نرى العلماء أمضوا جانبا من حياتهم فى قطر ، وجانبا منها فى قطر آخر ، فهم حينا فى مصر وحينا فى الشام ، وطورا فى العراق وطورا فى فارس ، حتى صار من العسير نسبة أحدهم إلى بلد دون صاحبه ، ولهذه الوحدة أو شبهها اتجه أكثر مؤلفى التراجم إلى جمع علماء العالم الإسلامى باعتبارهم نتاج مملكة واحدة ، هى كقطر واحد .

« نعم توجد شخصية لنتاج كل إقليم كالأدب المصرى والشامى والعراق وفارس وهكذا . ولكنها شخصية غامضة خفية لا ترى إلا بالمنظار الدقيق والبحث الطويل »

وأكثر ما يظهر هذا فى منابع الظاهرة العلمية والأدبية حين تظهر ، فظهورها فى إقليم خاضع ولا بد لمؤثرات اجتماعية فى هذا الإقليم كظهور المقامات فى فارس والموشحات بالأندلس والأسلوب المسجع المحلى بالبديع فى الرى وما حولها والرسائل الشاملة لفروع الفلسفة كرسائل إخوان الصفا فى البصرة .

كل هذا له علل اجتماعية وتاريخية وإقليمية مرتبطة بهذه الظواهر ارتباط السبب بالمسبب ولكن لا تلبث بعد ظهورها أن تتلد فى سائر الأمصار ولو لم تكن العلة الأصلية موجودة وتقوم علة التقليد مقام الابتكار ، وتختفى الشخصية الأولى وراء المظهر العام الوحدة المشتركة (١) ؟

محمد كامل الفقى

(١) ظهر الاسلام حـ ١ ص ٣١٨ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



الأزهرى الذى وجه الاستشراق الحديث وعلماءه وجهة جديدة :

# الشيخ محمد عياد طنطاوى

## للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

١ — لايكاد أحد من العرب ممن كان له علاقة بروسيا فى القرن التاسع عشر يكون شخصية طريفة كشخصية أستاذ جامعة بطرسبرج الشيخ الطنطاوى ، فالدور الذى لعبه الشيخ فى تاريخ الاستعراب الأوربى ليس يسيرا[١] . كان الطنطاوى رجل الآداب العربية الحديثة العامل فى حفل الاستعراب الروسى[٢] ويبرز الطنطاوى فى تاريخ هذا الاستعراب والآداب الجديدة فى صورة فريدة لا نظير لها حتى الآن[٣] . فشخصية هذا « المستشار » تبرز بروزا فريدا فى تاريخ كرسى اللغة العربية وآدابها فى مـــدى قرن ونيف فى جامعة بطرسبرج[٤] .

هكذا يقول المستشرق الروسى كراتشكوفسكى عن الطنطاوى الذى كان شخصية فذة فى تاريخ الاستشراق ، والذى وضع أصولا ثابتة للدراسات الاستشراقية فى الغرب وقد شغل أذهان المستشرقين وكتاباتهم أمدا طويلا . ويعد أستاذ الكثيرين منهم .

٢ — كتبت دور الاستشراق عن الطنطاوى كتابات طويلة ، ونوهت بدوره الفعال فى خدمة اللغة العربية ، ووصفت أعماله العجيبة وصفا رائعا ، وسجلت دوائر المعارف العالمية الكثير من المعلومات عنه .

وعكف كراتشكوفسكى شيخ المستشرقين الروس عشر سنوات لكتابة دراسة عنه ، وأخيرا ألف بالروسية كتابه الرائع « حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى »[١] ، الذى عهد المجلس الأعلى للفنون والآداب فى الجمهورية العربية المتحدة إلى السيدة كلثوم عودة ،

(١) ص ١١٤ حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى لكراتشكوفسكى

(٢) ص ١٧ المرجع نفسه .

(٣) ص ١٠٨ المرجع نفسه .

(٤) ص ٩ المرجع نفسه .

(١) لكراتشكوفسكى دراسة عن الوأواء الدمشقى ، وعدة دراسات أخرى وهو الذى نشر كتاب البديع لابن المعتز وكان كتابه عن الطنطاوى أحب كتبه إلى نفسه وتوفى كراتشكوفسكى بعد الحرب العالمية الثانية بعد أن أنقذ مخطوطات مكتبة ليننجراد من الدمار الذى لحق المدينة فى الحرب العالمية الثانية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



وهى عربية فلسطينية مقيمة فى روسيا، بترجمته إلى العربية، وعهد إلى الأستاذين: عبد الحميد حسن ومحمد عبد الغنى حسن بمراجعة النص العربى وتحقيقه والتعليق عليه، ثم قام بنشره عام ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ فجاء سفرا نفيسا فى نحو ١٨٠ صفحة؛ ولكنه يمثل جهادا علميا جليلا فى الكشف عن حياة الطنطاوى ومواهبه وآثاره وثقافته، وفى تفصيل خدماته للاستشراق والمستشرقين فى القرن التاسع عشر.

لقد تناولت الكتاب لقراءته، فإذا بى أمام بطولة علمية حقة، قام بها كراتشكوفسكى، من أجل تسجيل حياة مواطن عربى، مصرى، أزهرى؛ اعترافا بفضله على الثقافة الاستشراقية فى العصر الحديث ...

وكنت أقرأ الكتاب وكأننى أمام أحداث مصورة؛ كل الألوان والظلال والسمات، وكل خطوة خطاها هذا العالم الأزهرى الخالد، منذ ميلاده حتى وفاته، وكل حدث على أو فكرى أسهم فيه؛ قد أبرزه كراتشكوفسكى بصورة زاهية أمينة، معتمداً على كثير من المصادر والمخطوطات وسجلات المستشرقين ومؤلفاتهم؛ وعلى مجموعة الشيخ محمد عياد الطنطاوى الخطية، التى تبلغ نحو ١٥٠ مخطوطا عربيا، مودعة فى مكتبة جامعة بطرسبرج، والتى نرجو أن تقوم بعثات دار الكتب المصرية فى الخارج بتصويرها كلها أو بعضها مما له أهمية خاصة.

وكان كراتشكوفسكى يكتب عن الطنطاوى مأخوذا بروعة أعماله، وجهاده العلمى، ويسجل كل رأى فيه، ويزن أعماله بميزان نقدى سليم منصف، ويقول: لقد بدت لى فجأة شخصية شيخنا واضحة منيرة (١).

وكان عمل المترجمة وعمل المراجعين موازيا لعمل المؤلف نفسه؛ دقة تامة، وأمانة علمية بارزة، وتحرر لجميع الحقائق، ووقوف صوفى، كأنه الاستغراق، أمام جميع النصوص. مما جعلنى مذهولا حقا أمام هذا العمل العلمى الفريد، الذى يجب أن ينال تقدير الدولة، وتقدير جامعاتها، وبخاصة الأزهر، وكم أود أن تكون أعمال الطنطاوى فى ميدان الاستشراق الحديث مادة للدراسة فى جميع معاهدنا وجامعاتنا، وأن يطلق أستاذنا أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر اسم الطنطاوى على أحد مدرجات الجامعة، تخليداً لذكرى رجل نشأ بين صفوفه طالبا، وعمل فى حلقاته العلمية مدرسا، وقدره العالم كله عالما ومفكراً ومصدراً للحركة الاستشراقية فى العالم كله، وأكسب وطنه مصر مجدا علميا باقيا على مر الزمان.

---

(١) ١١٧ المرجع السابق.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



٣ ــ كان الطنطاوى أعظم من ضحوا من العرب فى خدمة الثقافة الإنسانية ، وخدمة البحث العلمى الحر . ولقد ولد فى قرية نجريد المصرية عام ١٢٢٥ هـ : ١٨١٠ م ؛ وكان أبوه تاجرا كثيرا التجول ، من محلة مرحوم بقرب طنطا ، وأمه من بلدة الصافية [١] .

وذهب إلى طنطا فى سن السادسة لحفظ القرآن الكريم ، وبدأ فى تلقى دروس العلم فى سن العاشرة فى حلقات الجامع الأحمدى . ثم رحل مع أبيه إلى القاهرة عام ١٢٣٨ هـ : ١٨٢٣ م ، ودخل الأزهر ، وفيه تتلمذ على : محمد الكومى ، ومحمد أبى النجا ، ومصطفى القناوى ، وإبراهيم الباجورى شيخ الأزهر ( ت ١٨٦١ م ) ، وحسن العطار ) ( ت ١٨٣٥ م ) ، وإبراهيم السقا ( ت ١٨٨٠ م ) .

وكان من زملائه فى الدراسة : الشاعر الشيخ شهاب الدين ( ١٨٥٧ م ) ، ورفاعة الطهطاوى ( ١٨٧٣م ) ، ومحمد قطة العدوى ( ١٨٦٤ م ) ، ومحمد الأشمونى ، وإبراهيم الدسوقى ( ١٨٨٣ م ) ، الذى تتلمذ عليه كثير من المستشرقين .

وفى عام ١٨٢٧ م توفى أبوه ، فترك الطنطاوى الدراسة فى الأزهر ، تحت ضغط الظروف القاسية ، وعاد إلى طنطا ، ومنحه أستاذه مصطفى القناوى شيخ المسجد الأحمدى أجازة فى التدريس عام ١٨٢٨ م ، ثم عاد ودرس فى الأزهر عام ١٨٣٠ م ، وكان أول من قرأ المعلقات والمقامات فى حلقاته العلمية وهو فى العشرين من عمره ، وظل فى الأزهر عشر سنين ، وله تعليقات على مقامات الحريرى وشرح الزوزنى على المعلقات .

ومن تلاميذ الطنطاوى فى الأزهر : يوسف الأسير السورى ( ١٨٨٩ ) ، وابراهيم مرزوق ( ١٨٦٦ م ) ، وعبد الهادى نجا الأبيارى .

واشتغل مع عمله فى الأزهر بالتدريس فى المدرسة الانجليزية بالقاهرة ( مدرسة الإرسالية البروتستانتية ) عام ١٨٣٥ م . وفيها اتصل بكثير من الأوربيين الوافدين على مصر ، ومن بينهم جماعة من المستشرقين مثل فرينل الفرنسوى ( ١٨٥٥ ) الذى ترجم لامية العرب الشنفرى إلى الفرنسية بمساعدة أستاذه الطنطاوى ، والذى علم أستاذه اللغة الفرنسية ؛ وكذلك بيرون وفيل وبرونر ، وأصبح الشيخ أثيراً عندهم ، واعتمدوا عليه اعتمادا كليا فى بحوثهم وتتلمذوا عليه تلمذة فعلية ،

---

(١) قرية تقع الآن فى مركز دسوق من أعمال محافظة كفر الشيخ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



وكتب فرينل يقول : إنه مدين للطنطاوى الشيخ المصرى الوحيد ، الذى يدرس لغته بمحبة واهتمام ، ويدرس كتب الآداب العربية القديمة » .

ومن تلاميذه : موخين ، وفرين الروسيان وبسببهما سافر الطنطاوى إلى روسيا عام ١٨٤٠ .

غادر الطنطاوى القاهرة فى ٢٤ من المحرم ١٢٥٦ هـ : فبراير ١٨٤٠ م إلى الإسكندرية حيث نزل فى ضيافة قنصل روسيا فيها «مديم» وفى ٢٦ مارس ركب باخرة نمساوية إلى استامبول ، ومنها إلى أوديسا ؛ وفى يوم ٢٩ يونيو ١٨٤٠ وصل إلى بطرسبرج .

كانت روسيا آنذاك تهتم باللغات الشرقية ، وأنشأت فى بلادها دراسات لها . وفى نحو عام ١٨٣٦ أنشأت معهدا للغات الشرقية وألحقته بجامعة بطرسبرج ( بتروغراد ثم لنينغراد أو لنينجراد فيما بعد ) ، وخصصت كرسيا فيه - لتدريس اللغة العربية ، بجانب اللغات الشرقية الأخرى كالفارسية والتركية ، والمغولية والصينية ، والفضل فى ذلك راجع إلى م . بوشكين وزير المعارف الروسية آنذاك ، وأرادت روسيا شغل كرسى اللغة العربية ، فكلفت قنصلها فى القاهرة ، ليقوم بالاتفاق مع من يعرف فيه القدرة على القيام بهذه المهمة ، فاتصل بالشيخ وحبب إليه السفر إلى روسيا لهذه الغاية ، فتردد الشيخ ، إلا أن أصدقاءه رغبوه فى القبول ، وأضيف إلى ذلك إلحاح القنصل وسخاء العرض ، فوافق على السفر ليأخذ مكانه بين أساتذة اللغات الشرقية فى بطرسبرج .

وقوبل الشيخ هناك بالحفاوة ، وجعل له مرتب سخى ، واشتغل منذ ٢ يوليو ١٨٤٠ بالتدريس فى معهد اللغات الشرقية . وبالعمل فى ديوان الخارجية فى بطرسبرج .

كتب سانيليف - الذى صار فيما بعد من أشهر علماء الآثار ، وأحد ، مؤسسى جمعية الآثار - يرحب بالطنطاوى : وبعث بمقال له - مذيل بتوقيعه ، وبتاريخ ١٧ أغسطس ١٨٤٠ إلى جريدة ( فدومستى بطرسبرج ) ، ونشرت الجريدة المقال فى عدد ١٨٩ بتاريخ ٢٢ / ٨ / ١٨٤٠ ، وجاء فيه :

( أنت تسألنى : من هذا الرجل الجميل ، فى لباس شرقى ، وعمامة بيضاء ، وله لحية سوداء كجناح الغراب ، وعينان تشعان بإشعاع غريب ، وعلى وجهه سمة الذكاء ، وقد لفحت الشمس بشرته ، وليست بالطبع شمس بلادنا الشمالية الباردة ؛ هو ضيف جديد من ضفة النيل ، الشيخ الفاضل محمد عياد الطنطاوى . إن اسمه معروف لدى كل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



من يدرس اللغة العربية ، وكل السياح الذين انتفعوا بخدماته والمدينين له بنجاح أبحاثهم يذكرونه بالشكر ، ويكنون له المودة ، مذيعين شهرته فى أوربا . فمن هنا نرى ما كسبته كلية اللغات الشرقية الحية التى دعت الشيخ القاهرى ليحتل كرسى اللغة العربية الشاغر . ويمكنك الآن أن تتعلم اللغة العربية بدون أن تغادر بطرسبرج وفى الأسبوع الماضى ألقى الشيخ الطنطاوى أول محاضرة له فى قاعة الجامعة حضرها ما عدا تلاميذ المدرسة بعض المستشرقين غير المنتمين إليها ).

خلف الطنطاوى فى قسم اللغات الشرقية سلفه ( ديمانج ) الذى توفى عام ١٨٣٩ م ؛ وقضى ما يقرب من سبع سنوات مجاهدا فى تدريس اللغة العربية ثم عين بعد ذلك عام ١٨٤٧ أستاذا لكرسى اللغة العربية فى جامعة بطرسبرج وعين المستشرق الروسى « نفروتسكى » مساعداً له . وظل أستاذاً لهذا الكرسى طيلة أربعة عشر عاما ( ١٨٤٧ - ١٨٦١ م ) ، وعلى يديه تتلمذ كثير من المستشرقين الروس والألمان والفنلنديين الذين كان من أشهرهم « فالين » .

وفى سبتمبر عام ١٨٥٥ أصيب الشيخ بشلل فى رجليه ، وظل يغالب المرض والمرض يغالبه سنوات صعاباً على نفسه . وأقام فى منزله رهين المرض .

كان يشرف على العناية بالشيخ زوجته المصرية « أم حسن » ، التى ولدت له فى ١٩ مايو ١٨٥٠ ولداً سماه « أحمد » .

وتوفيت زوجه المصرية عام ١٨٦٠ وابنه فى سن العاشرة ، ولما لم يكن الشيخ بمستطيع القيام على تربية ابنه طلب إدخاله فى داخلية إحدى المدارس الوسطى ، ودخل أحمد جمناز لارينا فى ١٩ نوفمبر ١٨٦٠ على حساب الدولة ، ولم يلبث الشيخ غير قليل حتى أحيل على التقاعد فى ١٩ / ١ / ١٨٦١ ، ثم وافاه الأجل فى ٢٤ ربيع الثانى ١٢٧٨ هـ : ٢٩ أكتوبر ١٨٦١ م ، ودفن فى قرية فولكوفا بجوار بطرسبرج بجوار مقبرة زوجه المصرية الوفية ؛ وكانت فى هذه القرية مقابر المسلمين . وتسمى المقابر التى دفن فى وسطها مقبرة التتر . وعين نفروتسكى خلفا له فى كرسى اللغة العربية بالجامعة ، وصرفت الدولة معاش الشيخ إلى ابنه أحمد ، واختير نفروتسكى وصياً عليه . وفى عام ١٨٧١ باع أحمد مجموعة والده الخطية إلى مكتبة الجامعة . ثم تزوج أحمد وخلف بنتا ولم يلبث كذلك إلا قليلا وتوفى عام ١٨٨١ ، ودفن بجوار أمه ، وألحقت ابنته بدار أيتام الأشراف باسم هيلانة ، وصارت مسيحية منذ ذلك التاريخ أو أريد لها ذلك ، إذ كانت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



طفلة صغيرة آنذاك ، ولا ندري من أخبارها بعد ذلك شيئاً .

٤ — ترك الشيخ آثاراً كثيرة تبلغ الواحد والأربعين مؤلفا ، أحصاها كراتشكوفسكى ، وفى مقدمتها : تاريخ حياته وكتابه المخطوط « تحفة الأذكيا بأخبار بلاد روسيا » ، وورد اسمه فى مرجع آخر غير كتاب كراتشكوفسكى هكذا « هدية النجباء فى تحقيق إقليم روسيا [1] » ، وقد ألفه الطنطاوى عام ١٨٥٠ م / ١٢٦٦ هـ ، وأهداه إلى السلطان عبد المجيد ، وكانت كتابته فيه دقيقة ، وملاحظاته فاحصة ، وإحساسه وروحه عاليين ولم يكن الكتاب سردا تاريخيا أو جغرافيا ، بل كان وصفا دقيقا حيا بيئيا لرحلته من القاهرة إلى بطرسبرج وزياراته لأقاليم روسيا ، وانفعالاته مع الإقليم والشعب فيها خلال إقامته طيلة العشر السنوات التى قضاها هناك منذ هجرته عام ١٨٤٠ حتى تاريخ تأليف الكتاب (١٨٥٠) ووصف رحلاته فى روسيا وفى دول البلطيق وفنلندا من حولها ، ويتضمن الكتاب كذلك دراسة مفصلة لتاريخ روسيا الحديث وصورا سريعة لطبوغرافية بطرسبرج فى ذلك الحين ؛ وهذا العمل مكتوب بصورة لامعة ولا يزال محتفظا بقيمته العلمية إلى اليوم .

والطنطاوى كتاب عنوانه « النحو العربى » أو قواعد اللغة العربية » ، وهو أول كتاب كتبه كاتب عربى باللغة العربية للتدريس فى جامعات روسيا ومعاهدها العالية ، وهو موضع اهتمام المستشرقين ، ونال شهرة كبيرة فى كل دوائر الاستشراق الأوربى .

إلى كتب أخرى ألفها الشيخ ، وأحصاها كلها كراتشكوفسكى فى كتابه القيم .

٥ — كان الطنطاوى يجيد عدا العربية الفرنسية والروسية والفارسية والتركية واللغة التترية ، ويقول كراتشكوفسكى : إنه كان إلى جانب العربية له إلمام بست لغات أخر ، وإن هذا أفق كان بعيدا عن مواطنيه فى ذلك الحين [1] .

٦ — إن هذا الكتاب القيم لتاريخ حى من تاريخ مصر وأزهرها فى العصر الحديث فهو ينطق بعظمة الفكر المصرى فى أول عصر النهضة ، ويصور الحياة الثقافية فى مصر وحياة الأزهر العلمية فى القرن التاسع عشر تصويرا صادقا أمينا وهو من أجل الكتب التى أخرجتها المطبعة العربية ؛ والفضل فى ذلك راجع إلى عمل المؤلف وعمل الترجمة

(١) ص ١١٥ بين المخطوطات العربية لكراتشكوفسكى طبع ليدن ١٩٥٣ .

(١) ١٠٢ تاريخ حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



وعمل المراجعين الفاضلين الذى ينم عن جهد كبير بذلاه فيه .

والكتاب مقسم إلى :

١ ــ توطئة أو مقدمة تحدث فيها المؤلف عن مصادر حياة الطنطاوى وعن ظروف قيامه بهذه الدراسة .

٢ ــ ثم ثلاثة فصول : الأول عن « الطنطاوى فى مصر وسفره إلى روسيا » ، والثانى عن « الطنطاوى فى روسيا » ، والثالث عن « مصنفات الطنطاوى » .

٣ ــ ويلى ذلك ملحقات بعضها بقلم الطنطاوى نفسه ، وبعضها نصوص أخرى للمؤلف وغيره .

٤ ــ ثم رسائل من الطنطاوى إلى غوتولد المستشرق (١٨٩٧م) والأستاذ فى جامعة قازان.

٥ ــ ويلى ذلك كله تعليقات وتحقيقات بقلم المراجعين كتباها شرحا أو تعليقا على بعض نقاط وردت فى الكتاب .

وفى صدر الكتاب صورة الطنطاوى وسمها له مرتينوف عام ١٨٥٣ ، وصورة أخرى لقبره أخذها له بعض المستشرقين عام ١٩٢٣ ؛ وتقديم بقلم المراجعين الفاضلين .

٧ ــ وكنت أحب للمراجعين أن يذيلا الكتاب بكلمة عن كراتشكوفسكى وجهوده فى ميدان الاستشراق ، وبفهارس للموضوعات والأعلام .

ومع ما بذلاه من عناية وجهد فقد وقعت بعض أخطاء مطبعية فى الكتاب ، ومنها :

١ ــ لفظه جمادى الأولى التى وردت فى التعليق رقم ٣ فى الصفحة التاسعة ، وصحتها جمادى الآخرة .

٢ ــ تاريخ عام ١٨٥٧ وهو تاريخ وفاة الشاعر الشيخ شهاب الدين ، ورد فى الكتاب فى صفحة ٢٣ هكذا : ١٨٧٥ .

٣ ــ تاريخ عام ١٨٦٠ ورد فى صفحة ٧٧ هكذا : ١٦٨٠ .

٤ ــ لفظه جهته فى صفحة ١٥٤ وصحتها جهنه ولا شك أن الكتاب جملة صورة مشرفة لجهد المراجعين الجليلين .

٨ ــ وبعد فقد مضى على وفاة الطنطاوى أكثر من مائة عام ، ومع ذلك فجهوده فى خدمة الاستشراق حديث الجامعات فى الغرب ، فمتى تذكر الجامعات العربية هذا الرجل الفذ ، ومتى ترد له بعض ديونه وتعترف بقيمة ما أداه الفكر العالمى والعربى من خدمات جليلة باقية على مر الأيام ؟.

محمد عبد المنعم خفاجى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# الناحية العلمية من إعجاز القرآن

للأستاذ أحمد محمد الغمراوى

— ٣ —

بقى الجانب الثالث من جوانب الإعجاز العلمى فى القرآن . وهو أعجب الجوانب الثلاثة إلى الناس ، وأقربها أن يقنع كل ذى عقل : أن القرآن هو حقا من عند الله فاطر الكون . ذلك الجانب هو جانب التطابق بين يقينيات العلم الحديث فى ميادينه المختلفة وما يتصل بها من الآيات القرآنية .

والآيات القرآنية الكونية أقسام : منها الخاص ومنها العام ، والخاص أعجب الاثنين إلى الناس ، لكن العام إلى العلماء أعجب ، الخاص : قضايا محددة تعبر فى الظاهر عن حقيقة واحدة تقنع العوام والخواص على سواء ، أما العام : فهو وإن كان أيضا قضايا محددة إلا أنها قضايا كلية لا يقدرها قدرها إلا من يعلم أن أقصى مايطمح إليه العلم فى موضوعها هو الوصول إلى مثلها بعد استقراء طويل عريض لجزئيات كان كل منها يوما ما مجهولا حتى كشف عنه البحث العلمى الدقيق ، فالقضية الكلية الثابتة علميا هى فى العلم قانون تندرج تحته قضايا خاصة كثيرة تمثل كشوفا علمية لم تتم إلا بتعاون العلماء فى الحقبة المتطاولة من الزمان .

والقرآن الكريم فى كل من ميدانى الخاص والعام أسلوبه الحكيم الدلالة على ما يريد أن يدل عليه من أسرار الفطرة ليكون كل سر منها ، إذا أذن الله بالكشف عنه ، هاديا إلى الله فاطر الفطرة ومنزل القرآن ، ولما كان القرآن إنما أنزل لهداية الناس إلى من أنزله سبحانه ، فقد اقتضت الحكمة الإلهية فى آياته الكونية أن ينزل بأسلوب لا يصدم المسلم البديهى عند الناس فيكذبوه ، ولا ينافى الحقيقة الكونية فيكون ذلك داعيا إلى تكذيبه إذ ايسر الله سبيل الكشف عن تلك الحقيقة فانكشفت لأولى العلم فى مستقبل العصور ، وهذا من أعجب عجائب القرآن التى لا تنقضى ، ومن أدل الدلائل على أن القرآن حقا من عند الله ، فإن التعبير عن الحقيقة الكونية بأسلوب يطابقها تماما أو يدل عليها أولى العلم ثم لا يصدم الناس فيما يعتقدون ولو كان ما يعتقدونه مخالفا تلك الحقيقة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



ـ هذا الأسلوب القرآنى فى التعبير عن الحقائق الكونية وفى دلالة أولى العلم عليها أمر يعجز عنها البشر ولا يقدر عليه إلا الله الذى أنزل القرآن بالحق هدى للناس .

ولعل أوضح مثل لهذه الظاهرة القرآنية العجيبة قوله تعالى : « والشمس تجرى لمستقر لها . ذلك تقدير العزيز العليم » الآية (٣٧) من سورة يس . وهى مسبوقة بقوله تعالى : « وآية لهم الليل . نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون » فكلمة « الشمس » فى الآية الكريمة إما أن تكون معطوفة على « الليل » فى الآية قبلها ويكون المعنى « وآية لهم الشمس تجرى لمستقر لها » وتكون جملة ( تجرى لمستقر لها ) كجملة ( نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ) فى الآية قبلها تبيانا لوجه آية الله فى الليل وفى الشمس ؛ وإما أن تكون كلمة ( الشمس ) مبتدأ فى جملة مستأنفة خبره ( تجرى لمستقر لها ) ؛ وفى هذه الحالة يكون كونها آية لله من حيث إنها تجرى مفهوما من السياق ويدل عليه فى الآية القرآنية نفسها قوله تعالى ( ذلك تقدير العزيز العليم ) . وعلى أى الوجهين أعربنا الآية الكريمة فالقضية الكونية فيها هو أن الشمس تجرى ، وقضية أخرى أنها تجرى لمستقر لها . وقد سيقت القضيتان ليكون فى كل منهما أو فى مجموعهما هاد إلى الله ودليل على أن الذى أجرى الشمس وقدر مجراها هو الإله الحق الذى لا تجب العبادة إلا له . فضلال أى ضلال أن يعبد الإنسان سواه ! .

فانظر إلى القضية الأولى ، قضية أن الشمس تجرى . كيف انطبقت على البديهى المشاهد من حركة الشمس فى السماء من المشرق إلى المغرب فى كل مكان يعيش فيه الإنسان ، فى نصف الكرة الأرضية الشمالى وفى نصفها الجنوبى ، من قطب إلى قطب . لكن هذه الحركة إنما هى فى الظاهر . وقد فسرتها الفلسفة اليونانية أو العلم القديم بما فسرت أو فسر ، بما خطأه علم الفلك الحديث إذ أثبت أن حركة الشمس فى الظاهر حول الأرض ـ كما هو معروف ـ هى حركة نسبية راجعة فى الحقيقة إلى حركة الأرض حول محورها أمام الشمس من المغرب إلى المشرق مرة فى اليوم ينشأ عنها النهار والليل ، كما أثبت للأرض حركة سنوية حول الشمس تنشأ عنها الفصول .

فهل فقدت الآية الكريمة شيئاً من دلالتها بهذا الذى أثبته العلم ؟ إن الذى جد بما أثبته العلم هو انتقال الحركة عن الشمس إلى الأرض فصار للأرض حركتان تفسران الليل والنهار واختلاف الفصول ، بدلا من حركة الشمس وحدها . والدلالة هى فى حركة الجرم العظيم حركة دائبة مقدرة تقديرا تنشأ عنه ظواهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



كونية متكررة فى اليوم وفى العام تنطق بذاتها وبعظمها وبانتظام تكررها وتكرر آثارها البالغة يوما بعد يوم وعاما بعد عام ، ألا بد لها من موجد قدير حكيم قدر ودبر ولايزال يرعاها بتدبيره وحكمته ، وهو الآله الحق سبحانه . ولا ينقص من هذه الدلالة شيئاً أن يصبح الجرم العظيم الذى له تلك الحركة العجيبة هو الأرض فى حكم العلم الحديث بعد أن كان هو الشمس فى رأى العين ورأى الفلسفة اليونانية أو العلم القديم .

لكن هناك سؤال آخر لايقل أهمية عن السؤال السابق لأنه يتعلق بالصدق كما تعلق ذلك بالدلالة . فهل فقدت الآية الكريمة شيئا من صدقها وإن لم تفقد شيئا من دلالتها بذلك الذى أثبته العلم من التفسير الصحيح لظاهرة حركة الشمس من المشرق إلى المغرب ؟ إن الله سبحانه يقول عن كتابه ( وإنه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ) فستحيل أن يكون فى القرآن شىء من الباطل قط لا فى كونياته ولا فى قصصه ولا فيما عدا ذلك مما تعرض له القرآن بعبارة أو بإشارة . بهذا تقضى هذه الآية الكريمة . والمؤمن بها الذى يحاذر أن يقفو ماليس له به علم ليس أمامه فى الإجابة على السؤال إلا الجزم بأن آية سورة يس لا يمكن أن تفقد من صدقها شيئا بما كشف أو يكشف عنه العلم ، وليس له فى تفهمها إلا طريقان : طريق الحقيقة وطريق المجاز . والعدول عن الحقيقة إلى المجاز لابد له فى الكلام من قرينة تبرره وتدل على أن المعنى المجازى هو المراد. وليس فى الآية الكريمة ولافيما قبلها أو بعدها فى موضعها من سورة يس ما يدل على أن كلمة ( تجرى ) فى قوله تعالى (والشمس تجرى) مستعملة فى غيرما وضعت له أو أن من الممكن صرفها إلى حركة سريعة للأرض بدلا من حركة سريعة الشمس ، من باب إطلاق المسبب على السبب . فلم يبق إلا أن تكون كلمة ( تجرى ) فى الآية الكريمة على حقيقتها مسندة إلى الشمس حقيقة لامجازاً .

وهنا نتبين عجيبة من عجائب الإعجاز العلمى فى القرآن ، فقد جاء علم الفلك الحديث ، بعد نحو ثلاثة عشر قرنا من نزول القرآن ، فأثبت للشمس حركة غير هذه الحركة الظاهرة من المشرق إلى المغرب .

وأثبت أن هذه الحركة ذاتية للشمس ، وقدر سرعتها بركنيها : أى من حيث المقدار والاتجاه ، فأما المقدار فهو اثنا عشر ميلا فى الثانية ! وأما الاتجاه فهو نحو النجم المسمى « فيجا » فى الإنجليزية ، والنسر الواقع فى العربية .

أى أن علم الفلك الحديث أثبت أن الشمس ، على عظم كتلتها الهائلة ، تجرى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



في الفضاء بسرعة اثنى عشر ميلا فى الثانية فى اتجاه النسر الواقع .

« والشمس تجرى لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم » .

فأنت ترى الآن أن فى قوله سبحانه : « والشمس تجرى » معجزة علمية عظمى لم تكن تخطر لأحد على بال حتى كشف عنها علم الفلك الحديث ، والعلم الحديث لم يكشف عنها إلا فى القرن التاسع عشر بعد أن تهيأ له من آلات الرصد ، وأدوات التحليل الضوئى ومن المقدرة على تفسير النتائج التى توصل إليها عن طريقها ، ما أدى به إلى الكشف عن ذلك السر العظيم : كتلة من النار قدر كتلة الأرض ٣٣٣ ألف مرة تقريبا تجرى فى ملكوت الله بسرعة تزيد على ضعف سرعة ما يسمونه بالقمر الصناعى فى دورته حول الأرض ! .

لقد افتتن الناس ، أو كادوا ، بهذه الأقمار أو القمريات الصناعية التى ليس للإنسان فيها إلا صنعها وإحكام إطلاقها مستعملا فى ذلك ما وهبه الله من علم ومقدرة ، أما دورانها حول الأرض فليس له فيه من فضل إذ هى إنما تدور طوعا لسنن الله فى الحركة من ناحية وفى الجاذبية بينها وبين الأرض من ناحية أخرى ، فكيف يمكن أن يكون فى هذه القمريات دليل على وجود الإنسان وما بلغ من رقى فى الصناعة والعلم ولا يكون فى الشمس وجريها فى الفضاء على ذلك الوجه العظيم الهائل دليل على وجود الله العزيز العليم سبحانه ، الذى خلق الشمس وأجراها وقدر لها مجراها فى الفضاء ؟ .

ثم كيف لا يكون فى إخبار القرآن بجرى الشمس هذا قبل أن يؤتى الإنسان من العلم والمقدرة ما يكشفه به ، بحيث تمر القرون بعد نزول القرآن والبشرية كلها فى غفلة عن جريها وجهل به - كيف لا يكون فى هذا كله دليل قاطع وبرهان ساطع على أن القرآن إنما أنزله رب الشمس سبحانه ، الذى فطرها وأجراها وقدر لها ذلك المجرى ؟ . إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون .

فانظر الآن كيف أثبت العلم الحديث صدق ما ينتجه الإيمان بالقرآن من قوله تعالى (والشمس تجرى) إذا اتبعت الدقة فى تطبيق القاعدة البلاغية القاضية بالا يعدل — فى تفهم الآيات القرآنية الكونية — عن الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية فى نفس الكلام صحيح إن الاستنتاج قد وقع ونحن نعلم أن العلم قد أثبت صدق الآية حرفيا ، لكن هذا لا ينقص شيئا من العبرة التى ينبغى استخلاصها ألا وهى وجوب الاستمساك بما ينتجه التطبيق الدقيق لقواعد اللغة فى تفهم آى الذكر الحكيم فى ضوء المعروف من الحق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



والمعروف من الحق فى هذه الحالة هو أن الحركة الظاهرة للشمس من المشرق إلى المغرب راجعه فى حقيقتها إلى دوران الأرض حول محورها أمام الشمس من المغرب إلى المشرق.

ثم تأمل بالغ حكمة الله سبحانه فى أن جعل جرى الشمس حقيقة فى الفضاء يتفق خبره إذا ذكر فى القرآن مع ما علم سبحانه أن ستبدو به الشمس لعباده نتيجة لما قدره للأرض من حركة يومية حول محورها وحركة سنوية حول الشمس ، ليكون التطابق بين الخبر والجرى الظاهرى فيه عبرة وهدى للناس أثناء الحقبة المتطاولة التى علم سبحانه ان سوف تمر قبل أن يستطيع أولو العلم الكشف عن جرى الشمس الحقيقى ، حتى إذا كشفوه وحققوا بذلك صدق الخبر الكونى القرآنى حرفيا ، كان ذلك معجزة علمية كبرى فى القرآن تقنع كل ذى عقل لم يغلبه الهوى والعناد أن القرآن حقا من عند الله .

والمعجزة العلمية الكبرى المتمثلة فى قوله تعالى ( والشمس تجرى ) ينطوى تحتها فى الواقع معجزة أخرى ، إذ قد خطأت علم الفلك القديم حين قال فى تفسير الشروق والغروب : إن الشمس معلقة أو مركوزة فى فلك مادى كرى هو الذى يدور بالشمس حول الأرض ، فجعل حركة الشمس غير ذاتية والآية الكريمة تقرر أن لها حركة ذاتية سريعة ؛ فإن الجرى لا يمكن إلا أن يكون ذاتيا ، وقد وجد التفسير الفلسفى أو الفلكى القديم طريقه إلى كتب التفسير ليس فقط فيما يتعلق بالشمس ولكن أيضا فيما يتعلق بالقمر وقد اعتبرهما فلاسفة اليونان خطأ من السيارات التى فسروا حركاتها عبر السماء بما فسروا به حركة الشمس، فافترضوهما مركوزة فى أفلاك كريه شفافة مجوفة بعضها داخل بعض ومركزها جميعا الأرض فهى تدور كلها بحركات مختلفة من المشرق إلى المغرب حول الأرض التى جعلوها ساكنة لا حركة لها ، وتبعهم فى ذلك فلاسفة المسلمين والمفسرون .

وقد يكون من تكليف ما ليس فى الوسع أن ينتظر منهم استنباط جرى للشمس غير هذا الذى يرونه بأعينهم كل يوم ، لكن كان من المنتظر على الأقل أن يخطئوا الفلسفة اليونانية فى قولها : إن الشمس والقمر وبقية السيارات تجرى بالواسطة لا بالذات ، استنادا منهم إلى قوله تعالى : « والشمس تجرى » ، وقوله: « وكل فى فلك يسبحون » ، إذ لا قرينة فى الآى على أن الجرى والسبح معدول بهما عن الحقيقة إلى المجاز ؟

أحمد محمد الشرباصى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# رحلات الخليل إبراهيم إلى الحجاز

للأستاذ علي الخطيب

---

بين العراق وفلسطين ومصر والحجاز ، سرت خطا خليل الرحمن : إبراهيم عليه السلام ؛ ينطلق إلى إحداها مدفوعا بوحي ربه ، أو طلباً للارتفاق ، أو صلة لرحمه ، وتسجل « الأخبار الصحيحة » أخذا من الكتاب والسنة معا خمس رحلات له عليه السلام إلى مكة المكرمة بالأرض الحرام من الحجاز مستوعبة تفاصيلها ، ذاكرة أسبابها.

لقد ترك الخليل موطنه بالعراق حين أنكر قومه وأنكروه ، وأجمعوا أن يحرقوه فاعتزلهم مهاجراً إلى ربه ... إلى فلسطين ، ثم قدم مصر بزوجه في قحط ، وحفظ الله عليه أهله فيها ، وعاد مكرما بسارة زوجه ، وقد أهدى إليها من ملكها « هاجر » ، فأهدتها بدورها لزوجها ، وهاجر في ذلك أخت لـ « ماوية » هدية المقوقس لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، فكلتا المرأتين هدية ملك إلى نبي ... وكلتا هما كانت من خيار النساء ... ولعل ماوية كانت تذكر محمداً بالخليل ، فسمى ولده منها « إبراهيم » .

وحين عاد الخليل إلى فلسطين لم يكن قد أنجب بعد ، حتى إذا سكن لهاجر أنجب إسماعيل عليه السلام ، فاشتدت الغيرة بسارة ، وساءها أن تعلو عليها بالإنجاب أمة ، ولعلها ضايقت هاجر ، فإن الأخيرة حين أمر الخليل بإبداعها مهجرها بمكة كانت تمشي مرتعدة وقد اتخذت ( منطقاً ) لتعفي أثرها على « سارة » زوج الخليل كما يحدث ابن عباس رضي الله عنهما وكانت تلك أولى رحلات الخليل إلى الأرض الحرام .

يروي ابن عباس في صحيح البخاري أن إبراهيم الخليل : « وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم ... وليس بمكة يومئذ أحد » ، ولكنها - وإن كانت قفراً - كانت الأرض الحرم الآمن فقد حرمها الله وجعلها أمنا من « يوم خلق الله السموات والأرض فهي حرام إلى يوم القيامة » ، كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم ، وضعهما إبراهيم إذن بخير بقعة في الأرض ، صادعا في ذلك لأمر ربه ، ولعله لم يستطع الغلبة على حنينه وحبه فأولاهما ظهره طاويا قلبه على شوق جارف ورحمة للأم والوليد ليس للجلد عليهما إلا رحمة من الله .

وأما الأم البارة فقد عصمها الإيمان أن تسيء الظن بالخليل ، وهي تناديه مراراً دون أن يلتفت إليها : « أين تذهب وتتركنا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



بهذا الوادى الذى لا أنيس فيه ولا شيء ؟ » ، ثم تدرك مقام النبوة فتسأله : « آلله أمرك بهذا ؟ » فيجيبها : « نعم » ، فيغمرها الرضا بقضاء الله ، والأمن فى ظله ، فتقول : « انطلق فإنه لا يضيعنا ! » .

وبعد تلك الهجرة بشرت سارة بإسحاق ، وبشرت به فى حال لم تحدث لأحد فى العالمين ليس لأنها وردت على لسان الملائكة ... بل لما حوته البشارة من امتداد حياة إسحاق ، وامتداد حياتها هى حتى ترى حفيدها يعقوب « فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » ، وكان يمكن بعد تلك الحادثة أن تعود هاجر إلى فلسطين ... إلى قريب من مكان زوجها وقد ذهبت الحال الأليمة التى آذت سارة عليها السلام ، واستوت المرأتان فى منزلة الإنجاب ، وارتفعت سارة بمنزلة السيادة . لكن الله كان يريد أمراً آخر فى البقعة الحرام إذ جعل الخليل فيها رسالة بعد رسالته لقومه الفاجرين ، كان عليه أن يبنى البيت ، ويؤذن بالحج ، ويؤدى شعائره ، كان الله يريد أن ينشأ البيت وبجانبه « لبنة » آدمية زكية ، هى لبنة النبوة ، تصون البيت ، وتؤدى واجبه ، وتحيط به فى نبوة بعد نبوة من ولد إبراهيم وذرية إسماعيل عليهما السلام ، ثم إن إبراهيم لم ينقطع عن زور أهله بمكة ... حقا ... إننا نجد زورات قد سلطت عليها الأضواء وتحدث عنها ابن عباس فى الصحيح منوطة بأحداثها . لكن لا يغيب عنا : مقام النبوة التى هى أدعى استجابة إلى صلة الأرحام ، وإبراهيم الخليل نبى كريم ، ووالد إنسان ، ورجل حنون شفوق بأهله فليس عجبا أن تتكرر زوراته ، وفى الصحيح أنه عليه السلام : « كان يزور أهله بمكة على البراق سريعا ثم يعود إلى أهله » .

وتأتى الرحلة الثانية إلى الحجاز من تلك الرحلات المفصلة التى وقعت أحداثها بمكة ، ونزل بهذه القرآن وتأتى حين شب إسماعيل ، وأدرك الحلم ، ورأى ابراهيم فى منامه أن يذبحه ، ووجد ذلك وحيا ، وأحس به أمرا فأسرع إلى تنفيذه فكان بمكة التنفيذ الذبح (١) ذلك ( البلاء المبين ) الذى يبصر المؤمنين بما ينبغى أن يكون عليه المرء طاعة لربه ،

(١) ينبغى أن يعلم المسلمون أنه لا دليل علمى أو غير علمى بيد اليهود يثبت أن الذبيح هو إسحاق ، وإنما ذلك قصة ابتدعوها طلبا لمخالفة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وما اعتبر « قانونيا » من العهد يخلو من ذكر ذلك . وحسبنا الآية الكريمة بعد نصا قاطعا فى الأمر : « فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » ، نقل ابن كثير : أن الذبيح إنما هو إسماعيل ، وأنه يمتنع أن يكون هو إسحاق لأنه وقعت البشارة به وأنه سيولد له يعقوب ، فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ، ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده ، ووعد الله حق لا خلف فيه . فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه فتعين أن يكون هو إسماعيل ، اهـ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



وتضحية فى سبيل رضاه . إن إبراهيم الخليل لم يشاركه أحد من قبل ومن بعد موقف إبتلائه هذا . وحسبنا أن نعلم أن الخليل حتى لحظة الفداء ونزول الكبش ، وبعد أن استسلم إسماعيل للذبح وهم به الخليل كان فى روعه عليه السلام أن الذبح سيتم لا محالة ومن ذا الذى يمكنه من بنى البشر أن يصور نفسية الخليل تلك اللحظة أو يطيق أن يتخيل أمرها مهما أوتى من ضبط النفس وقوة الجنان . وهل بعد ذلك تقصير فى طاعة !؟ أو اقتصاد فى إخلاص . ؟ إنما ذلك الإخلاص كله ، والطاعة كلها ، وكان إبراهيم بهما خليل الرحمن .

ونحن لا ندرى كم عاشت هاجر ، لكنا نأخذ من ظاهر خبر صحيح أنها عاشت إلى ما بعد زواج إسماعيل «الأول» . فقد جاور هاجر وإسماعيل بطن أو أكثر من (جرهم) وكانوا خير جيرة لهما وبينهم (... شب الغلام وتعلم العربية ، وأنفسهم ، وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم ... وماتت أم إسماعيل...) صحيح البخارى كتاب الأنبياء

ويعنى هذا أن إسماعيل عليه السلام متعه الله بوالدته حتى اشتد عوده ، وأصبح بمكنته أن يستقل بالكدح ، ويسعى لرزقه ، فماتت أمه قريرة العين ، لا تخشى عليه ضياعا ، وتثق بالله فى أمره كله

لم تكن زيجة إسماعيل هذه بصالحة لأمره ولم تكن تلك الزوجة تصلح لمشاركة نبى حياته لقد كانت تلتوى أمام مشاعر النبوة العالية ، وآدابها السامية ، واكتشف الخليل ذلك فى زيارته لإسماعيل بعد هذا الزواج ، وعرف أنها كنود تضيق بالناس ، ولا تألف الكرم وتهوى الشح وتنفر من الضيف ، ولا تحمد لزوجها بعد ذلك كله جهدا ، ولا تشكر له صنيعا .

قدم إبراهيم فلم يجد اسماعيل فسألها عنه فقالت : ( خرج يبتغى لنا ذهب يصيد ) فلما سألها عن حالهم كان ردها : (نحن بشر... نحن فى ضيق وشدة ...) وما كان إبراهيم عليه السلام ليتنظر منها شيئا حتى تمضى فتقص له بلاءها ولكنها بدت امرأة لا تهتم بواجب ، وتفرط فى الأنانية ، وحب الذات ، وتغض من قدر إسماعيل ، فقال لها الخليل : ( إذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ، وقولى له : يغير عتبة بابه ) ففعلت ، وأدرك إسماعيل فقال لها : ( ذاك أبى ، وقد أمرنى أن أفارقك فالحقى بأهلك ! ) .

ووفق إسماعيل فى الزيجة الثانية ، وتبين ذلك إبراهيم الخليل فى زيارته التالية وقد صادف كل الظروف الأولى عدا الزوجة الكنود ، فإسماعيل يصيد ، وفى البيت امرأة غير أنها تستبشر له وتدعوه إلى الطعام والشراب ، وتحمد لزوجها جهده ، وتحدثه عن الخير الذى تعيش فيه والأمن الذى تنعم

( البقية على الصفحة التالية )

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# نقد ابن تيمية لمذاهب الاتحادية والقائلين بوحدة الوجود

للأستاذ عبد الفتاح الديدي

— ١ —

نتساءل مقدما عن الأسباب التي حملت ابن تيمية على هذا النقد :

إن ابن تيمية كما نعرفه ، هو رجل من أتباع المدرسة الفقهية التي أنشأها ابن حنبل في تاريخ الفكر الإسلامي لأول مرة . وقديما حمل ابن حنبل على ذلك الفريق من المتصوفة الذي ذهب إلى حد القول بأن الفناء في الذات الإلهية يمكن أن يتم عن طريق المجاهدة وأخذ النفس بألوان من الرياضات على نحو ما علمنا من كل من أبي يزيد البسطامي والحلاج وأمثالهما من أصحاب الأذواق ، وأرباب الأحوال .

فالنزاع بين الفقهاء والصوفية يرجع إلى زمن متقدم جدا على العصر الذي عاش فيه ابن تيمية والهجمات التي تعرض لها الصوفية إنما كانت تتوالى عليهم بصور قوية ، حينا ، وفاترة حينا آخر طوال القرنين الثالث والرابع الهجريين .

ولئن كان ظهور الصوفية قد بدأ في منتصف القرن الثاني الهجري ، فإن النزاع الحقيقي قد بدأ

---

( بقية المنشور على الصفحة السابقة )

به ، وقد سألها إبراهيم : « ما طعامكم وما شرابكم ... ؟ قالت : طعامنا اللحم ، وشرابنا الماء ، قال : اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم » ، ورحل الخليل وقد ترك لابنه رسالة ، وجاء إسماعيل وسألها : « هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة ، وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته ، فسألني : كيف عيشنا فأخبرته : أنا بخير . قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم . هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ... » اهـ .

وتدل هاتان الزيارتان على مدى اهتمام الخليل بأمر ولده ، ورعايته شأنه ، والمشاركة في إصلاح أمره في حنان موصول وبر كامل .

ثم أمر الخليل ببناء البيت فقدم مكة ، واتجه إلى ولده فوجد : « إسماعيل يبري نبلا تحت دوحة قريبا من زمزم ... فقال : يا إسماعيل ، إن ربك عز وجل أمرني أن أبني له بيتا ، فقال : أطع ربك عز وجل . قال : إنه قد أمرني أن تعينني عليه فقال : إذن أفعل » .

وارتفع البيت ليكون مأثرة من ملة أبينا إبراهيم وشعيرة وطاعة إلى يوم الدين ؟

علي الخطيب
بمجمع البحوث الإسلامية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# نقد ابن تيمية لمذاهب الاتحادية والقائلين بوحدة الوجود

للأستاذ عبد الفتاح الديدي

— ١ —

نتساءل مقدما عن الأسباب التي حملت ابن تيمية على هذا النقد :

إن ابن تيمية كما نعرفه ، هو رجل من أتباع المدرسة الفقهية التي أنشأها ابن حنبل في تاريخ الفكر الإسلامي لأول مرة . وقديما حمل ابن حنبل على ذلك الفريق من المتصوفة الذي ذهب إلى حد القول بأن الفناء في الذات الإلهية يمكن أن يتم عن طريق المجاهدة وأخذ النفس بألوان من الرياضات على نحو ما علمنا من كل من أبي يزيد البسطامي والحلاج وأمثالهما من أصحاب الأذواق ، وأرباب الأحوال .

فالنزاع بين الفقهاء والصوفية يرجع إلى زمن متقدم جدا على العصر الذي عاش فيه ابن تيمية والهجمات التي تعرض لها الصوفية إنما كانت تتوالى عليهم بصور قوية ، حينا ، وفاترة حينا آخر طوال القرنين الثالث والرابع الهجريين .

ولئن كان ظهور الصوفية قد بدأ في منتصف القرن الثاني الهجري ، فإن النزاع الحقيقي قد بدأ

---

( بقية المنشور على الصفحة السابقة )

به ، وقد سألها إبراهيم : « ما طعامكم وما شرابكم ... ؟ قالت : طعامنا اللحم ، وشرابنا الماء ، قال : اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم » ، ورحل الخليل وقد ترك لابنه رسالة ، وجاء إسماعيل وسألها : « هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة ، وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته ، فسألني : كيف عيشنا فأخبرته : أنا بخير . قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم . هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ... » اهـ .

وتدل هاتان الزيارتان على مدى اهتمام الخليل بأمر ولده ، ورعايته شأنه ، والمشاركة في إصلاح أمره في حنان موصول وبر كامل .

ثم أمر الخليل ببناء البيت فقدم مكة ، واتجه إلى ولده فوجد : « إسماعيل يبري نبلا تحت دوحة قريبا من زمزم ... فقال : يا إسماعيل ، إن ربك عز وجل أمرني أن أبني له بيتا ، فقال : أطع ربك عز وجل . قال : إنه قد أمرني أن تعينني عليه فقال : إذن أفعل » .

وارتفع البيت ليكون مأثرة من ملة أبينا إبراهيم وشعيرة وطاعة إلى يوم الدين ؟

علي الخطيب
بمجمع البحوث الإسلامية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



فى مستهل القرن الثالث أى بعد أن اشتهر أمر مدرستى : الكوفة والبصرة وفى منتصف القرن الثالث بدأت تنشأ فى العاصمة العباسية ثقافة جديدة لها طابع خاص بها يوافق الثقافة العباسية الإسلامية . وانحدرت إلى العاصمة الجديدة بعض أفكار ونزعات تصوفية كان من آثارها تكوين مدرسة بغداد الصوفية التى يمثلها المحاسبى . وهذه المدرسة قد برئت فى الغالب من معظم الاتهامات التى نسبت إليها ومع ذلك فقد عاشت إلى جوارها مدرسة الحنابلة الذين فطروا بطبيعة مذهبهم المتشدد فى الأمور الفقهية والكلامية على ضرب من الزهد . وهذا هو الذى أتاح فرصة مناوشة كل من الفريقين للآخر . فحمل ابن حنبل على الصوفية وقال : إنهم أصل البلية فى حوادث (جهم) . وتوالت الأزمات بين الفريقين ، ووصل الأمر بالحنابلة أن حملوا الدولة على الوقوف من الصوفية نفس الموقف الذى اتخذته بإزاء الزنادقة أيام المهدى . وأفلحوا فى النهاية فى التدخل فى أمر الحلاج والقضاء بقتله لما نسب إليه من الزندقة ولم يقف الأمر عند هذا الحد ؛ بل استمر النزاع متمثلا فى اعتقاد الفقهاء بأن الصوفية : أهل بواطن وقلوب وأصحاب أشواق ومواجيد مما لا سبيل إلى أن يسلم به كل إنسان . وهى فى غالب أمرها ، مسائل خاصة : وتجارب ذاتية وشطحات روحية من الصعب تأييدها ، أو نقلها إلى الغير . ظل الأمر على هذا النحو حتى القرنين السادس والسابع الهجريين حينما جاء ابن تيمية ، فكان خاتمة لذلك الصراع الروحى الذى امتد طويلا بطريقة فكرية وفى بيان قوى ، ومما لا شك فيه أن الصراع لا يزال جاريا على أشده حتى يومنا هذا ولكن لم يأخذ قط بعد ابن تيمية مثل تلك الصورة القوية الفذة بحق . وهذا إن كان يدل على شىء ، فإنما يدل على أنه قد كان لنقده سبب تاريخى موروث ضمن العقيدة المذهبية التى كان يتشيع لها .

وعلى الرغم من أنه كان ينظر نظرة احترام وتقدير لبعض المتصوفة : كالغزالى وابن عربى وأبى الحسن بن سالم ، وعبد الله الأنصارى وعبد القادر الجيلانى كما يقول ماسينيون فى مادة تصوف بدائرة المعارف الإسلامية ولم يصفهما كما وصف غيرهما بالمروق من الدين ؛ فإنه لم يأل جهداً فى الحط من أقدار بعض المتصوفة الذين غالوا فى الاتجاه المخالف لاتجاه المدرسة الفقهية التى سار فى أثرها . ونحن نريد أن نكشف من هذا كله عن أثر دفين بنفسه للمذهب الذى شايعه ، وبتاريخه الطويل مما جعله يندفع فى هذا الاتجاه اندفاعا مؤيداً بالتعصب الدينى ، ومزوداً بالسلاح الفكرى اللازم .

أما السبب الثانى الذى كان يستوجب من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



ابن تيمية كل هذه الثورة فيتصل اتصالا مباشراً بمسألة الصفات . وهي مسألة لها المحل الأول لدى مفكر إسلامي كابن تيمية ، فضلا عن أنها كانت الأصل في كل خلاف نشأ بين الصوفية والفقهاء ، وموضع النزاع الدائم بينهما ولقد كان من المهم جداً بالنسبة إلى الإسلام أن يحدد موقفه من عقيدته في الألوهية خاصة وقد جاء ليصلح أنظاراً دينية سابقة عليه وليبين الفساد في بعض الآراء التي كانت معاصرة له . والواقع أن عقيدة الألوهية وما يتصل بها تعد من النقط الرئيسية في كل دين خصوصاً في الأوقات التي تعمل الفلسفة على تأييده فيها بالبرهان العقلي أو الفترات التي تنتاب الديانة فيها أزمات تدخل في صميم العقيدة وابن تيمية من هذه الناحية متعصب لتعاليم الإسلام ، ومتمسك باعتقاد النبي عليه السلام نفسه في الإله . فهو كما وصفه لاووست Laoust في كتابه المسمى باسم Essai sur lesDoctrinesSociales et Politiques d'Ibn Taymia. ص١٥٥ : يؤمن بوحدة الله وبأنه ذات تتعالى عن التحديد الوصفي ، وتسمو على القياس العقلي ، وموقفه هذا مستمد من الآيتين : « قل هو الله أحد » ، « ليس كمثله شيء » يضاف إلى هذا : أن القرآن يصف الله : بأنه قد استوى على العرش ، ويذكر الحديث عنه أنه ينزل كل ليلة إلى سماء قريبة ؛ فيسمع صلاة الصالحين . فإذا اعتمد ابن تيمية على النص وأخذ بالإسناد التاريخي فيما يتعلق بمسألة الصفات فلا بد له — وهو الرجل المسلم الحنبلي — أن يدافع عن مبدأ واحد ، هو مبدأ « وحدة الذات الالهية » ، ولا يغني هذا بطبيعة الحال تعدد مظاهر قوته ، ولا يتعارض مع الكثرة ، أو التسلسل التدريجي ؛ فالله واحد الذات ، متعدد الآثار في آن معا . وفي القرآن يتكلم عن نفسه أحيانا بقوله : أنا ، وأحيانا أخرى بقوله : نحن . فالذات واحدة إذن أما الصفات فكثيرة ، ( ونحن ) هي بعض التعظيم ، فالواحد المعظم لنفسه يستعمل نحن .

وهذه نقطة حساسة جدا في فهم ابن تيمية للصفات ، وأكره شيء إلى قلبه أن يوجد من المسلمين من ينكر الصفات على نحو ما فعل جهم من قبل ، أو كما يفعل القائلون بالاتحاد أو الوحدة ، وحين فضل ابن عربي على بقية أصحاب الاتحاد ، وميزه منهم ؛ لم يكن مدفوعا إلى هذا إلا لأن ابن عربي كما جاء في مجموعة الرسائل والمسائل ( في ص ١٧٦ ) يفرق بين الظاهر والمظاهر ، وأول خطر أحسه ابن تيمية في كلام الصوفية إنما عينه من وجهه النظر هذه ، فصفات الله عنده هي صفات الكمال سواء بسواء إذا قيست بالنسبة إلى الله نفسه ، أو إلى الخلق ، وهذا الكمال القدسي لا يتفق مع وجود درجات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



فى الصفات ، أو مع قول باختلاف فى قيم هذه الصفات ، ولذلك تراه يقول (ص ٢٦ ج ٤) : مذهب هؤلاء الاتحادية كابن عربى وابن سبعين والقونوى والتلمسانى مركب من ثلاثة مواد :

١ — سلب الجهمية وتعطيلهم .

٢ — تحملات الصوفية : وهو ما يوجد فى كلام بعضهم من الكلمات المجملة المتشابهة كما ضلت النصارى بمثل ذلك فيما يروونه عن المسيح فيتبعون المتشابه ، ويتركون المحكم .

٣ — وأيضا كلمات المغلوبين على عقلهم ، الذين تكلموا فى حال السكر . فتراه من ذلك يولى مسألة الصفات جل اهتمامه ، وتعد هذه النقطة لكثرة ما تحدث فيها محل البدء فى نقده ، والواقع أنه لم يكن فى هذه المسألة مبتكرا أو فيلسوفا بالمعنى الصحيح ، وإنما كان مقلدا للمدرسة الحنبلية بصفة خاصة تلك المدرسة التى قامت انتصارا للسنة ، والتزاما بحرفية القرآن . ومما يدلك على ذلك تلك الرواية المشهورة التى جاءت فى كتاب ( العقيدة والشريعة فى الإسلام ) بقلم جولد تسيهر ( ص ٩٧ من الترجمة العربية ) من أنه ذكر فى عظة من عظاته نصا يتعلق بنزول الله ، فعمل على نفى أن يكون النص من المتشابه ، وعلى أن يشهر عيانا فهمه لنزول الله فنزل بعض درجات المنبر قائلا « كنزولى هذا » ) فمن هذه الناحية يمكن أن ندخل ابن تيمية فى تلك الطائفة المسماة : بالمشبهة أو المجسمة . قد يظن البعض أننا نتعارض بهذا مع ما قلناه : من أنه يأخذ فى مذهبه بالآية القائلة « ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير » سورة الشورى (١١) ولكن نلاحظ دائما أنه كان يأخذ بهذه الآية على نحو ما فسرها محمد بن سعدون المعروف بأبى عامر القرشى إذ يقول : « معناها ألا يمكن أن يقارب الله أحد فى الألوهية ؛ أما فيما يتعلق بالهيئة والصورة فهو مثلك ومثلى » وهذا تفسير يتفق تماما مع رغبة ابن تيمية فى تصوير الله بأنه غير عاجز كما تصوره الفلاسفة ، وغير مجانس للوجود المرئى كما تصوره الصوفية .

وتتكلم الآن عن السبب الثالث الذى دفع ابن تيمية إلى اتخاذ هذا الموقف . والحق أن ابن تيمية عاش فى فترة لم يكن فيها الإسلام بخير ، ولم تكن الفرق الصوفية جديرة باعتبار واحترام . ففى عهده بدأت الطرق الصوفية فى الانتشار وبدأت الخانقاوات والزوايا فى الزيادة بصورة لم تحصل من قبل ، كما تعددت ألوان المنشئات الإخوانية . ولم يكن النشاط الصوفى قاصرا على المجال الجمعى وحده ، وإنما كان يمتاز فى وقته بجانب فردى تمثل فى اتخاذ بعض الأفراد خطة خاصة فى الحياة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



وأسلوبا معينا فى السلوك ، جعلوا به من أنفسهم صوفية من طراز متوحد .

ولقد عرف الإسلام من قبل ضروبا مختلفة من التصوف أهمها وأميزها وأقربها إلى روح الإسلام وأحبها لفعل الخير هو ذلك التصوف المنظم كما كان عند الغزالى الذى عارض الطقوس المذهبية ، والأمور الشكلية لدى رجال الدين ، واتخذ من حب الله وحده دافعا إلى النقاوة والطهر والصفاء . ولكنه لم يعرف شيئاً من هذه الروح الخبيثة التى بدأت تتدس فى أنحاء مختلفة من أقوال الصوفية فى عهده وأعمالهم المتصلة بجملة عقائدهم ، ونلخص أظهر المساوىء التى امتازبها تصوفهم فى النقط الآتية :

أولا : حوروا فى الأسس التقليدية للشريعة الإسلامية بصورة مزعجة إذ قد كانت الشهادة على هذا النحو « لا إله إلا الله » فتحولت على أيديهم إلى هذه الجملة : ليس إلا الله .

ثانياً : وكان مما أثار غضب ابن تيمية أنهم مزجوا بين التصوف والخزعبلات ، كما يقول لاووست فى وصف حالة الصوفية فى الفترة التى عاصرها ابن تيمية ( ص ٢٩ ) فمنهم من كان يعد الرقص أنشودة روحية تقتاد النفس إلى النشوة والسكر وتفتح للبعد سبيلا للاتصال بالله . ومن هذه الفرق الأحمدية والرفاعية واختص أعلامهم فى عرض المخارق والمعجزات على مشهد من الأمراء .

ثالثا : تتصل الصوفية فى واقع الأمر بالميول الإسلامية الشعبية وتغذيها ، ومن ثم تمكن أصحابها من إقناع العامة بأنهم فى مرتبة الأنبياء ، وأن النبى هو قائدهم الأعلى ورئيسهم الأكبر . ومن هنا سادت بين الناس فكرة الاحتفال بالمولد ، وصارت مرضاة الله بين يدى الشيخ أو السيد أو الولى .

رابعاً : أدت حالات الزهد والانقطاع بالكثيرين من الأولياء إلى تفضيل الغلمان على النساء عند الأداء الجنسى ، كما أن منهم من بقى فى حال العزوبية التى تتعارض مع الدين الحنيف . ( لاووست ص ٢٨ ) .

خامساً : يمثل التصوف على النحو الذى شاهده ابن تيمية فى عصره انحلالا ظاهرا فى العقيدة الموروثة ، ويتيح للعناصر النصرانية من جهة ، واليونانية من جهة أخرى ، أن تتدخل فيما هو من أصول الدين الإسلامى . ولم يكن بد من أن يعلن ابن تيمية سخطه على هذه الفئة التى تضلل المسلمين ، وتفسد الإيمان على أهله بحيث تسلمهم فى النهاية إلى الأمراض الاجتماعية الفتاكة التى تجعل منهم فريسة لكل طامع سياسى ، وذلك بعد البساطة الروحية التى امتازوا بها ، والقوة الدنيوية التى كانوا عليها . ( البحث بقية )

عبد الفتاح الديدى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# الإنسان
## بين هوى النفس والشيطان

للأستاذ أحمد حنفي نصار القوصي

---

منذ هبط آدم عليه السلام من السماء ليكون خليفة في الأرض يعيش عليها ، ويعمرها هو وذرياته إلى نهاية الدنيا ، منذ ذلك الحين - ولما يمض غير قليل - انكشفت خصائص البشرية ، وبان ما يكمن فيها من استعداد وقدرة على عمل الخيرات ، واكتساب السيئات على حد سواء ، وقد ظهر ذلك جليا أول ما ظهر في قصة ولدي آدم عليه السلام من صلبه وهما قابيل وهابيل ، واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ، ولم يتقبل من الآخر قال : لأقتلنك ، قال : إنما يتقبل الله من المتقين ... فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله ، فأصبح من الخاسرين » .

ومنذ طرد إبليس من الجنة ، وأنزل إلى الأرض مذءوما مدحورا لمخالفته أمر ربه بالامتناع عن السجود لآدم عليه السلام بدأت حربه التي لا تنقطع ولا تفتر ضد بني آدم ، ولزم هو وجنوده حد قوله فيما يحكي القرآن عنه إذ يقول : « لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ، ومن خلفهم ، وعن أيمانهم ، وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين » ، وإذ يقول « فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين » .

وقد اقتضت حكمة الله ورحمته بعباده أن يسد هذه الثغرات ، وأن يستجيب لحاجة البشر الماسة إلى التبصرة والتذكير بين الحين والحين ، لعلمه المحيط بهم ، وعلمه بسطوة عدوهم ، وبما هم عليه من ضعف في مقاومته ومدافعة استغلاله لشهواتهم ، ولعبه بأهوائهم فاصطفى لإرشادهم رسلا ينزل عليهم آيات هدايته ليدعوهم إلى الإيمان بالله ، ويرشدوهم إلى الصراط المستقيم ، يبينوا لهم حدود الله « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » ، ولتكون مجازاة من كفر بالله ، وألحد في آياته حقا وعدلا « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

وقد اختار الله رسله - وهو العليم الحكيم - من البشر ليألفهم الناس ويتيسر عليهم الاتصال بهم والأخذ عنهم والفهم منهم لاتحاد الجنس « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



قومه ليبين لهم ، كما اختارهم رجالا ليقووا على احتمال المكاره والصبر على الشدائد التي تصادفهم في سبيل أداء أماناتهم بتبليغ رسالات الله ، « وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم » .

ولا شك في أن الهدى في كل زمان يضاد ما عليه الناس من الباطل ، ويصدمهم في كثير مما يحبون ، فيعرض أكثرهم عنه لضلالهم وتمسكهم بأوضاعهم القائمة ، وعبوديتهم للعادات المتمكنة ، والأثر الذي يقدسونه جهلا وعمى ؛ برغم مجافاته للعقل والرشد ، « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » ؟ ! والشيطان من وراء ذلك كله يسوقهم إلى المعصية بعماه الخفية القوية سوقا ، ويستغل ضعفهم ، ويوسوس لهم بالتزيين والتلبيس والوعود الفاسدة ، والأماني الكاذبة « يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا » .

واستمر الشيطان مع الإنسان على الأرض عدوا له مبينا . فأما الشيطان فقد احتمى بخصائصه ، وبطبيعة خلقه ، وأخذ يفعل أفاعيله في الاحتيال بعزم وقوة . وأما الناس فقد اختلفوا وانقسموا إلى قسمين : منهم من صدق برسالة الله فاستمع الموعظة ، واعتصم بحبل الله المتين بإيمان صادق ، وإرادة قوية ، محتقرا لمغريات الشيطان ، وأمانيه الكاذبة ، فنجا من حبائله ، وأخذ طريقه إلى النصر عليه . كلما حاول منازلته « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فإذا هم مبصرون » ، فكيد الشيطان بالنسبة لهؤلاء هباء ، ومنهم من يستجيب للوسواس ، ويخضع لداعي الشهوة ، ويغلبه على أمره هواه ؛ فيكذب برسالات الله ، ويعرض عنها وينأى بجانبه ، ويؤذي الرسول ، ويكيد له ، ويحاول تبديل كلمات الله ، « ولا مبدل لكلمات الله » فيصير من حزب الشيطان مع الهالكين .

وإذن فحزب الله رسله والمؤمنون ، وحزب الشيطان إبليس وجنوده من الجن وضلال الأنس وهما في صراع دائم وحرب مستعرة مستمرة لا تتوقف ما بقي على الأرض الأناسي والشياطين . لذلك كانت مهمة الرسل شاقة ، وطريقهم وعرا ، وكان لا بد لهم من تأييد السماء ، فكانت المعجزات على تنوعها لتصدقهم وتدعم موقفهم تجاه المضلين . وسواء منها ما كان في نوع العلم ، أو في نوع القدرة ، فهو خارج عن قدرة الأنس والجن جميعا ، لأن الجن من جملة من دعاه الأنبياء إلى الإيمان ، وأرسلت إليهم الرسل قال تعالى : « يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا » . ومعلوم أن النبي إذا دعا الجن إلى الإيمان فلا بد أن يأتي بآية خارجة عن مقدورهم ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



وإذن فلا بد أن تكون آيات الأنبياء خارجة عن مقدور الجن والأنس جميعاً .

ومع هـــذا فإن حزب الشيطان لم يقف مكتوف اليدين ، بل حاول من جانبه بكل جهـــده أن يشوش على معجزات الأنبياء بخوارق تشاكلها فى الظاهر من السحر والكهانة ، وما إلى ذلك ليوهموا أنها من جنس المعجزات فيختلط الأمر على الناس ، فلا يفرقون بين الحق والباطل ، حتى أنهم أوغلوا فى ذلك فألفوا الكتب فى السحر ، وطرق الاتصال بالشياطين ونحو ذلك قال تعالى « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » وأدرجوا فى بعض هذه الكتب ـ إمعانا فى الإضلال ـ معروفا لاشبهة فيه ليلبسوا الحق بالباطل كى يفهم الناس أنه جميعا غير منكر ، وعمل مشروع . ففتن بها كثير منهم وكأنهم لم يتبينوا من قبل الحـــدود الفاصلة بين المعجزات وما يلحق بها وغيرها من الأباطيل.

والمعلوم أن المعجزة أمر إلهى خارق للعادة اقترن بدعوى النبوة ، لتدل على صدق الرسول يظهرها الله على يديه ابتداء ، أو عنـــد التحدى ، أو يجريها إرهاصا توطئة ، وإعلاما بمجىء الرسول ، وكذلك تخرق العادة لأولياء الله المعروفين بالصلاح والتقوى من أتباع الرســل عليهم السلام تأييداً لدين الله ، ودلالة على صحة ما جاء به الرسول .

وتسمى هذه كرامات للتفرقة بينها وبين المعجزات ، وهى ولاشك لا تبلغ على أى حال إلى مثل معجزات المرسلين وإن شاركوهم فى بعض أعمالهم ، والكرامة كذلك لا تدل على عصمة الولى ، ولا على أنه تجب طاعته فى كل ما يقوله ، كما هو الحال مع المرسلين . وعلى ذلك فإن ما تقـــدم الرسول من الإرهاصات ، وما تأخر ، وجرى على يد الصالحين فى أمته من بعده سواء أحدث ابتداء أو ظهر عند التحدى للدين فهو من معجزاته . ومثل هذا ما ذكر فى حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم عن الثلاثة الذين تكلموا فى المهد ، وما حدث لأتباعه صلى الله عليه وسلم كمخاطبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سارية على المنبر مع بعد ما بينهما .

وما يكون من الكفار والسحرة والكهان والمشركين من أهل الكتاب والضلال من غيرهم فالأنبياء والأولياء قادرون على إبطاله ، وكشف زيفه بعون الله ؛ وأوضح دليل على ذلك ما ظهر على أعين الناس مجتمعين ضد سحرة فرعون على يد موسى عليه السلام .

وعلى كل فأفعال المفسدين على اختلافها من جنس الأفعال المقدورة للخلق من الجن والإنس والحيوان ليس فيها قلب جنس

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



ولا مسخ ولا إبطال خاصية بخلاف ما يجرى على يد الرسل فإنه من عمل الله لا يستطيعه مخلوق.

فالساحر قد يمرض بسحره أو يقتل والمرض والقتل أعراض يقبلها فى العادة الحيوان . وكذلك إحضار الطعام والمال من الغيب إنما هو نقل من مكان إلى مكان تفعله الجن والإنس ولكن الجن يفعلونه وهم فى خفاء عن الناس . وهذا كله ليس معجزاً لأنه فى مقدور المخلوق . وكذلك الأخبار ببعض الأمور الغائبة من مثل ما تفعله الشياطين مع الكهان فهذا تلفيق لا يخلو من الكذب أبداً لأن المصدر الشيطان وهو لا بد له من الكذب على الإنس سخرية بهم . وقد أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله : « هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفاك أثيم ، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون » ومع ذلك فكل ما يخبرون به فهو من جنس المعتاد للناس مما يعلم بالمنامات وشبهها وفيه خلط وزيف وهو على أى حال ليس بالحق اليقين .

وأما أخبار الأنبياء عليهم السلام فليس فيها كذب قط لأنها من عند الله ومن غيبه الذى لا يقدر عليه الجن والإنس قال تعالى « عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحدا ، إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا » والأنبياء عليهم السلام فى ذاتهم صادقون والكذب فى حقهم مستحيل.

ومن العجيب المؤلم حقا أنه إلى عصرنا هذا - وقد بلغ العقل البشرى رشده كما يقولون وعلم الإنسان بظواهر الكون قد اتسع ، وقطع شوطا بعيدا - لا تزال مثل هذه الترهات تجرى فى الناس ، وتأخذ طريقها إلى عقولهم ، فيؤخذ بها ضعاف الأحلام ، ويلتبس أمرها على كثير .

وكنا نظن أن علماء السلف عليهم الرضوان من أمة محمد عليه السلام وقد تدبروا هذه المسائل من مئات السنين ، وبينوا الحدود بين معجزات النبيين وكرامات الصالحين وأفاعيل المضلين كنا نظن أنه لم يبق هناك داع للعودة إلى الكلام فى هذه الأمور ، ولكن الإنسان أثبت أنه برغم رقيه وحضارته لا يزال فى حاجة إلى الموعظة والتذكير وإلى من يضع يده دائما على الجرح . وهو كذلك - من باب أولى - فى أمس الحاجة إلى التنبيه على ما يجد من مفاسد العابثين وألاعيب الشياطين .

ومن هذه المفاسد وليست آخرها ألعوبة « الشيطان بالإنسان فى خرافة تحضير أرواح الموتى » . تلك البدعة التى استحدثت وراجت سوقها من بضع سنين وصدق بها كثير من الناس حتى من مدعى المعرفة مأخوذين بسراب من ظواهر الأمور دون نظر أو تحقيق . ؟

أحمد حنفى نصار القوصى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# ما يقال عن الإسلام

# الفنون الإسلامية

للأستاذ الدكتور احمد فؤاد الاهواني

---

ليس الإسلام دينا يقتصر على العقائد والعبادات ولكنه إيمان وعمل ، لا ينفصل أحدهما عن الآخر .

ولا يمكن فهم الإسلام حق الفهم إلا بالإحاطة الشاملة الوثيقة بسائر ما كان يقوم به المسلمون فى أمور معاشهم ، وما يقومون به فى الوقت الحاضر ، وجماع ذلك كله يسمى بالحضارة ، فالإسلام حضارة معينة ، تشمل تلك النواحى المختلفة التى ذكرناها ، ومنها الفنون .

ولم يغب هذا المعنى عن قدماء المفكرين فى الإسلام ، غير أنهم لم يفردوا للفنون كتبا خاصة تنهض بدراستها ، والأغلب أن المفكرين فى الزمن القديم لم تتجه عنايتهم إلى هذه الدراسات العملية ، أو الفنية ، أو التكنولوجية ، وذلك لاعتقادهم أن الفكر المجرد والنظر الخالص أسمى من العمل ومخاصة الأعمال اليدوية ، ولم يكن هـــذا الفصل بين النظر والعمل ، مع سمو النظر على العمل مقصوراً على المسلمين ، ولكنه ميراث طويل عن الحضارات القديمة .

ولما جاء المستشرقون فى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ، شرعوا يطبقون المناهج الحديثة فى دراسة الفنون على الفن الإسلامى ، فكانوا بذلك أصحاب الفضل فى فتح هذا الباب أمام الباحثين العرب الذين تعلموا عنهم هذا اللون من الدراسة ، وكتب فى ذلك المرحوم الدكتور زكى محمد حسن كتابه عن الفنون الإسلامية معتمداً على تلك الدراسات الأجنبية .

وقد ترجم إلى اللغـــة العربية منذ عشر سنوات تقريبا كتاب الفنون الإسلامية تأليف الأستاذ ديماند ، وقد أحسن المترجم بقوله « الفنون الإسلامية » فى العنوان بدلا من الأصل الأجنبى وهو « الفن المحمدى » ، ومعنى ذلك أن المؤلف يضع للإسلام اسماً هو « المحمدية » . وقد فعل ذلك الأستاذ جب ، المستشرق المعاصر المعروف ، حين ألف كتابه عن الإسلام وسماه « المحمدية » والراسخون فى العلم لا يقولون بذلك ، بل يقولون : الإسلام ، لأن الدين عند الله الإسلام ، وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



وقد أخذ معظم المستشرقين فى الوقت الحاضر بهذه الوجهة الصحيحة من النظر ، وهذا ما فعله اثنان من كبار المشتغلين بالفنون والآثار الإسلامية ، هما : « كرسويل » الإنجليزى الذى كان أستاذاً للفن الإسلامى بالجامعة المصرية ، و « جورج مارسيه » عضو الأكاديمية فى باريس ، ومدير متحف الفن بالجزائر قبل استقلالها ، وعنوان كتاب كرسويل « فن العمارة الإسلامى قديما » ، وعنوان كتاب مارسيه « الفن الإسلامى » ، أو « الفن فى الإسلام » ، أو « الفنون الإسلامية » .

والأغلب أن المشتغلين بهذا اللون من الفنون يسمونه إسلاميا لا عربيا ، على حين أنهم حين يتحدثون عن العلوم يقولون « العلوم العربية » لا الإسلامية ، وذلك لسببين : الأول أن العلم لا وطن له ، وهو دراسة مغايرة للدين ولا تخضع له ، فيكون من التناقض القول بعلوم إسلامية أو مسيحية ( المقصود هنا العلوم بمعناها الخاص كالحساب والهندسة والفلك والطب وغير ذلك ) . والسبب الثانى أن تسميتهم للعلوم بأنها عربية نسبة إلى اللغة العربية لا إلى الدين .

صفوة القول : إن الفنون إسلامية والعلوم عربية ، وهذا فى الأغلب الأعم ، اللهم إلا عند بعض المتحذلقين والمخالفين ، وهم عندنا قلة لا يحسب لها حساب ، ولا يؤخذ برأيها فى هذا الباب .

يفتتح الأستاذ جورج مارسيه كتابه بهذه العبارة : « تصور أنك تقوم بهذه التجربة ، إذ تمضى ساهة من فراغك تتصفح مجموعة من الصور هى عبارة عن مجموعات فوتوغرافية مأخوذة عن ألوان مختلفة من الفنون : هناك تماثيل إغريقية ، يتلوها نقوش على مقابر قدماء المصريين ، ثم سواتر مزركشة على الطريقة اليابانية ، ثم تقع عينك وأنت تقلب الصور ، على لوحة من الجص المنحوت مأخوذة عن إحدى صالات قصر الحمراء ، ثم على صفحة من مصحف كتب بقلم مصرى ثم على نقش محفور على إناء إيرانى من النحاس ومهما تبلغ ثقافتك الفنية من الضآلة ، فإنك ستتحقق على الفور أن هذه الصور الثلاث الأخيرة تنتمى إلى الفن الإسلامى » .

يريد المؤلف أن يقول : إن الفنون الإسلامية على تنوعها وتطورها على مر العصور ، وتباين الأقطار الإسلامية التى نشأت فيها من الشرق الأقصى إلى أقصى الغرب ، تمتاز بشخصية ، ووحدة وخصائص تجعل الناظر إليها يدرك ، ولا يخطىء أنها إسلامية .

ويذهب مارسيه إلى أن الفن الإسلامى يمتاز بصفتين أساسيتين هما : الشخصية والوحدة ، ولا مراء فى شخصية الفن الإسلامى هذه الشخصية الواضحة البارزة التى يسرت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



الحكم على القطع الفنية على تنوعها بأنها إسلامية وقد جاءت الفنون الإسلامية هذه الشخصية من عدة عوامل على رأسها : الدين ففي ذلك العالم الإسلامي الذي امتدت رقعته من الصين شرقا إلى الأندلس غربا ، كان المسلمون يخضعون لديانة التوحيد ، ويتلون كتاباً واحداً باللغة العربية هو القرآن ، ويمارسون عبادات واحدة هي الصلوات الخمس كل يوم ، ويجتمعون معا لصلاة الجماعة في المساجد ، ومن أجل ذلك اتخذت المساجد هيئة خاصة في بنائها تستلزم وجود مئذنة للأذان ومنبر لخطبة الجمعة ، والمحراب ليبان اتجاه القبلة ، والميضأة لقضاء الحاجة والوضوء والنقوش التي تحلى بها جدران المساجد من الداخل ومن الخارج ومعظمها من الآيات القرآنية :

وقد كان القرآن وما زال وسيظل كتاب المسلمين المقدس ، يعظمونه لأنه كلام الله ، ويحفظونه في الصدور ، ويكتبونه في المصاحف بخط جميل ، وينقشون هوامش المصاحف بألوان من الرسوم الجميلة . ولم تقتصر الكتابات القرآنية من الناحية الفنية على تزيين جدران المساجد ، بل وضعت على كل ما يستخدمه المرء في منزله من أدوات ، بحيث يعيش المرء في داره محوطا بالشعارات الدينية ، وعلى رأسها شعار المسلمين وأساس دينهم وهو : ( لا إله إلا الله ) و ( محمد رسول الله ) . أو : ( بسم الله الرحمن الرحيم ) وغير ذلك . ونحن نعرف أن الدراهم والدنانير كان يضرب على أحد وجهيها في الأغلب : لا إله إلا الله .

وهكذا نجد أن شخصية الفن الإسلامي تستمد كيانها من الدين . بل إن بناء البيوت على هيئة خاصة ، من وجود فناء داخلي ، ونافورة مياه ، ومشربيات تطل على الخارج كل ذلك يمكن تفسيره دينيا كما يمكن تفسيره جغرافيا .

وفي ذلك يقول الأستاذ مارسيه بعد حديثه عن العامل الجغرافي وعامل الجو وأثرهما في الفن الإسلامي ما نصه ( صفحة ٨ ) :

( ومع ذلك فإن الذي حفظ قبل كل شيء آخر وحدة الفن الإسلامي بين الأقطار المختلفة هو الإسلام نفسه ، تلك الوحدة التي يحمل كل أثر فني طابعها . ذلك أن العامل الديني هو أكثر العوامل فعالية وأدومها ) . هذا ولم يغب عن باله عامل آخر له أهمية عظمى وأثر كبير في الفن الإسلامي ، وهو اللغة العربية . ويقول في هذا الصدد : ( إن التقارب بين الفن ، ولغة الحديث أمر لا شك فيه . ذلك أن ما يجعل من اللغة العربية - على الرغم من بعد الشقة بين الشعوب وتنوعها - لغة حديث مشتركة هو أنها لغة مقدسة ، واللسان الذي نزل به الوحي المدون في القرآن ) .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



ولما كانت الفنون الإسلامية تستخدم في الأغلب الكتابة العربية للحلية ، والتبرك ، والتقرب إلى الله ، فلا غرابة أن نجد هذه الكتابات على جميع الآثار من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب . وانظر معي إلى هذه النغمة الجديدة التي تبغي أن تتخذ من الأحرف اللاتينية طريقة لكتابة اللغة العربية ، وتريد ترجمة القرآن إلى لغات غير العربية ، فكيف يكون الفن الإسلامي بعد ذلك عاملا من عوامل التوحيد ؟ إنها - ولا نزاع - لغات شاذة مغرضة تبغي هدم الإسلام عن طريق هدم اللغة العربية ، والتخلص منها .

والفن لغة ، يعبر بالخطوط والألوان والظلال والصور عن روح الأمة وتاريخها . والفن من أجل ذلك حي بحياة الأمم ، يسمو مع نهوضها ، وينحدر مع ضعفها ويتغير بتغير تاريخها . ولا يمكن أن يظل الفن ثابتاً خلال القرون الأربعة عشر التي مر بها الإسلام منذ ظهوره حتى الآن . والفنون الإسلامية مظهر من مظاهر التاريخ الإسلامي ، وسجل لذلك التاريخ ، وثمرة له ، كما أننا نستطيع أن نستقرىء التاريخ الإسلامي من النظر إلى الآثار الإسلامية الباقية حتى اليوم ، والمحفوظة في المتاحف . ثم إن الإنتاج الفني يفترض عموما حالة معينة من توازن المجتمع ، وازدهار الدول وقوتها .

ولما كانت الفنون الإسلامية عبر تاريخها الطويل قد خضعت لتأثير السلاطين والخلفاء والأمراء الذين كانوا يرعون الفنون ويشيدون المساجد والمدارس باسمهم تخليداً لذكرهم ، كان لابد من معرفة وثيقة بالتاريخ الإسلامي لمعرفة أسرار هذه الفنون .

لهذا السبب يقسم علماء الفنون كتبهم بحسب العصور التاريخية ؛ ويمهدون لكتبهم بمقدمة في التاريخ الإسلامي . وهذا ما فعله الأستاذ كرسويل في كتابه عن العمارة الإسلامية .

أما الأستاذ مارسيه فقد قسم بحثه إلى أربعة عصور ، أو فترات دون الإفاضة في العرض التاريخي .

الفترة الأولى : من ظهور الإسلام إلى نهاية القرن الثالث .

والفترة الثانية : من القرن الرابع ، أي عصر انقسام الدولة العباسية إلى دويلات ، وازدهار الدولة في الأندلس ، وظهور الفاطميين في شمال إفريقية ومصر ، وتستمر هذه الفترة حول قرنين ونصف من الزمان .

ثم في الفترة الثالثة : تبدأ الدولة الإسلامية في التميز خلال القرون : من السابع إلى العاشر ، ويبرز الفن الإيراني بوجه خاص والفن المملوكي .

وفي الفترة الرابعة : يظهر التأثير التركي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



عقب نفوذ الأتراك فى العالم الإسلامى ، وهو يبحث فى كل عصر الفنون على النحو التالى : (١) العمارة الدينية ـ والمقصود منها المساجد أساساً ، ولكن فى بعض العصور وجدت مقابر . (٢) العمارة المدنية مثل القصور والبيوت . (٣) الزخرفة بأنواعها . (٤) الفنون المتحركة أو المنقولة وهى على عكس العمارة التى تعد من الفن الثابت ، ويدخل فى هذا الفن كل ما يمكن نقله مثل الأوانى النحاسية ، والمصنوعة من الفخار ، والأقمشة ، والأبسطة ، والسجاجيد ، وجلود الكتب وغير ذلك .

أما كتاب كرسويل فإنه مقتصر على العمارة يتحدث فيه عن فن العمارة أولا فى الدولة الأموية ، ثم ثانيا فى الدولة العباسية حتى نهاية القرن الثالث الهجرى .

ثم إن كرسويل لم يعرض التاريخ من حيث هو كذلك ، بل فى الحدود التى تسمح بإبراز الإنتاج الفنى . ولذلك استهل كتابه بقوله : « لايبدو أن بلاد العرب عند ظهور الإسلام كانت تملك شيئا يستحق اسم العمارة ، إذ لم يستقر فى الأرض سوى نسبة ضئيلة من السكان اتخذت لها بيوتا أشبه بالمغاور . وسمى الذين يعيشون فى بيوت من الآجر أهل المدر ، وسمى البدو الذين كانوا يعيشون فى خيام من الشعر أهل الوبر » .

هذا المدخل إلى العمارة الإسلامية يفصح عن اتجاه واضح نحو انتزاع أى عمارة عن العرب قبل الإسلام وعند ظهوره حتى يقال : إن المسلمين نقلوا هذا الفن عن البيزنطيين بوجه خاص ، وعن الفرس . وليس لدينا سند صحيح يبين مدى ما بلغته العمارة العربية قبل ظهور الإسلام مباشرة فى مكة والمدينة غير أن المستشرقين الذين يكتبون عن الإسلام ويحاولون تفسير الأسباب المادية لظهوره . يذهبون إلى أن العرب فى الجاهلية بلغوا مرتبة من الازدهار ثمرة التجارة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ليس لها مثيل ، ولو أن الفارق كان كبيرا بين الأغنياء والفقراء . وجدير بمن بلغ هذا الثراء الفاحش من أهل مكة أن يتخذ لنفسه دوراً أنيقة ، يقوم ببنائها مهرة الصناع من مصر أو اليمن أو الحبشة أو الشام ، تماما كما هى الحال فى الوقت الحاضر . مهما يكن من شىء فنحن بإزاء تفسيرين متناقضين يذكرهما المستشرقون ، الأول أن حالة العرب الجاهلية كانت فى غاية التأخر حضاريا ، والثانى : أنها كانت غاية فى الازدهار ، فترى بأى التفسيرين نأخذ ؟ .

على أى حال يتناقض كرسويل مع نفسه حين يتحدث فى الصفحة الأولى من كتابه عقب ذلك عن تجديد بناء الكعبة قبل بعثة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



الرسول ، معتمداً فى ذلك على رواية قدماء المؤرخين العرب مثل الأزرقى . وتذهب الروايات إلى أن قريشا جلبت الأخشاب التى بنت بها الكعبة من حطام سفينة غرقت عند الساحل ، واستخدمت نجاراً وبناء اسمه باقوم كان على ظهر السفينة ، إلى آخر هذه الرواية .

وقد كانت الكعبة بناء كبيراً نسبيا ، لأن الأصنام التى كان العرب يعبدونها كانت موجودة فى داخل الكعبة ، فضلا عن صور الأنبياء ( بحسب رواية الأزرقى ) . وقد ذكرنا من قبل أن المؤرخين العرب لم يوجهوا عنايتهم نحو تسجيل العمارة وهندسة البناء بمقدار ما كان يهمهم تسجيل الظواهر المتصلة بحياة الرسول الكريم

وخلاصة الرأى عند كرسويل فيما يختص بنشأة العمارة فى الإسلام ، أن فكرة عرب الجاهلية عن العمارة كانت ساذجة جداً ، وأن الكعبة ، وهى الهيكل المقدس عندهم ، لم تكن أكثر من بناء يحوطه أربعة جدران بارتفاع قامة الرجل وفى داخله بئر زمزم ولما ظهر الإسلام بنيت المساجد فى غاية البساطة لتحقق الغرض من اتخاذها مكاناً للعبادة . وأنشىء فى البصرة والكوفة والفسطاط أول المساجد وكانت ساذجة بدائية إلى أقصى حد . أما فى سوريا فإن أول مساجد اتخذها المسلمون إما أنها كانت كنائس ، أو أجزاء من كنائس شارك فيها المسلمون المسيحيين .

ولا يمكن اعتبار بداية المساجد بمعنى الكلمة من حيث فن العمارة إلا فى خلافة عبد الملك ابن مروان أو الوليد بن عبد الملك ، وقد ظل العرب بعيدين عن أى مطامح فى فن العمارة مدة قرن من الزمان بعد ظهور الإسلام ، ثم نقلوا بعد ذلك عن الفن الساسانى فى العراق ، وعن الفن البيزنطى فى الشام .

وقد اعتمد كرسويل فى دراسته على أوراق البردى إلى جانب المصادر التاريخية المعروفة ، حين وصف بناء مسجد دمشق الذى قام به الوليد ، وشرع ، كما يقول المقدسى ، فى طلب مهرة الصناع لتنفيذ غرضه ، وجاء فى أوراق البردى التى عثر عليها بمصر ما يؤيد تلك الرواية ، إذ نقرأ فى إحداها أمراً بدفع أجور الصناع ، وفى أخرى أمراً آخر باستبقاء أربعين صانعا (أنظر صفحة ٤ من كتاب كرسويل).

والكتاب يحلى بالرسوم والقطاعات الهندسية لشرح عمارة المساجد ، وليس غرضنا وصف العمارة الإسلامية من حيث هى كذلك ، إلا بمقدار ما تفيد فى توضيح حالة المسلمين فى العصور المختلفة ، ومدى تعلقهم بدينهم ، وكيفية تصورهم لهذا الدين ، من خلال الفنون الإسلامية ، وقد أسهم علماء الغرب فى هذا المجال مساهمة محمودة لاشك فيها ؟

د . أحمد فؤاد الأهوانى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# فتاوى مختارة

تقديم : ابراهيم محمد الجمل

(الإجابة لجنة الفتوى بالأزهر)

---

## الحج ونفقة الأقارب :

### السؤال :

رجل يريد الحج وعنده أقارب محتاجون للقوت الضرورى فما الحكم ؟

شعبان عبد الرحمن الشيحى

### الجواب :

هؤلاء الأقارب إذا كانت نفقتهم واجبة على من يريد الحج كزوجته وأولاده الصغار أو الكبار العاجزين عن الكسب أو الأبوين الفقيرين وليس عنده ماينفقه عليهم إلا ما يريد الحج به لا يكون الحج واجبا عليه لأنه غير مستطيع حينئذ فإذا حج والحالة هذه كان آثما .

---

## الحج من مال مكتسب من بلد غير اسلامى

### السؤال :

لى أم تريد أن تؤدى فريضة الحج هذا العام، ولا عائق والحمد لله إلا شيء واحد هو مصدر الأموال المطلوبة للإنفاق على الحج، ومصدرها : أنى أعمل فى ألمانيا الغربية طول اليوم وأكد فى الحصول على المال بعرق الجبين .

فهل هذه الأموال المجموعة من بلد غير إسلامى حلال أم حرام؟ وهل يجوز بها أداء فريضة الحج ؟

نايف أحمد مفلح / ألمانيا

### الجواب :

كسب الرجل من عمله حلال ، بل هو من خير الحلال متى كان يعمل عملا مشروعا كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكون العمل الذى يقوم به السائل فى ألمانيا أو غيرها لا يمنع من الإنفاق منه على والدته فى قيامها بفريضة الحج فإن كسبه فى مقابل عمله ، فالمال إذاً ملك حلال له .

---

## النيابة فى الحج .

### السؤال :

هل يجوز شرعا أن أجهز حاجا لكى يحج نيابة عن أخى أو أبى المتوفى وماهى الشروط الواجب توافرها فى هذه الحالة ؟ وهل يعود ثواب ذلك على المتوفى ؟ وهل يعتبر كما لو كان المتوفى قد حج عن نفسه ؟

على لبيب عزيز

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



الجواب :

يجوز للسائل أن ينيب شخصاً للقيام بالحج عمن توفى سواء أكان أبا أو أخا .

ويجزى هذا الحج عن ذلك المتوفى وله ثوابه.

ويشترط فيمن يقوم بهذا الحج أن يكون حج عن نفسه من قبل .

---

## هل يصح ممن ذهب لأداء فريضة الحج القصر فى الصلاة :

السؤال :

أحد الحجاج بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام فى صلاة الظهر وهو مؤتم بالإمام الراتب ( المقيم ) سلم من ركعتين على أنه مسافر وأن له أن يقصر فى الصلاة فما الحكم فى صلاته هذه هل هى صحيحة أم غير صحيحة وماذا كان يجب عليه لتصح صلاته على المذاهب الإسلامية الأربعة ؟

دكتور أحمد غلوش القاهرى

الجواب :

الشافعية والحنفية والإمام أحمد على أن المسافر إذا اقتدى بالمقيم فى جزء من صلاته ركعة أو دونها لزمه الإتمام . ومذهب مالك على أنه إن أدرك ركعة فأكثر لزمه الإتمام أو دونها فله القصر .

وعلى ذلك فالمصلى فى مسألتنا يلزمه الإتمام عند الجميع لأنه صلى مع الإمام المقيم ركعتين. وحيث لم يتم وسلم من ركعتين فصلاته باطلة عند الأئمة الأربعة ، ويجب عليه فعلها ثانياً أداء إن أدرك وقت الصلاة وقضاء إن فاته .

---

## الحج وعدة الوفاة :

السؤال :

سيدة توفى زوجها بتاريخ ٣ / ٢ / ١٩٦٥ وتريد أن تؤدى فريضة الحج مع ابنها هذا العام هل يجوز لها ذلك مع الإحاطة بأنها تبلغ من العمر ٥٩ عاما ؟ أكبر محمد

الجواب :

يجب على المتوفى عنها زوجها أن تقضى عدة الوفاة فى بيت الزوجية التى مات عنها زوجها فيه وذلك مقدم على أداء فريضة الحج التى يمكنها أن تؤديها فى وقت آخر إذا فاتت ولا كذلك عدة الوفاة وأيضاً فى العدة حق الله تعالى فيجب مراعاته .

## هل تجوز الزكاة لطبيعه :

السؤال :

هل يجوز إعطاء الزكاة من المال للابن إذا كان منفصلا فى معيشته عن أبيه ومعسراً ؟

محمد على سيد أحمد

الجواب :

الابن إذا وجبت نفقته على أبيه بأن كان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



فقيراً وهو صغير أو مريض مرضا يمنعه من الكسب كان غنياً بنفقة أبيه فلا يعطيه حينئذ من الزكاة ـ أما إن كانت نفقته غير واجبة على أبيه بأن كان بالغا قادراً على الكسب لكن كسبه لا يكفيه فهو فى هذه الحالة فقير أو مسكين يجوز لأبيه أن يعطيه من الزكاة .

## زكاة الأرض المستأجرة :

السؤال :

على من تجب زكاة الأرض المستأجرة على المؤجر أم المستأجر وما مقدارها ؟

عبد الفتاح سعد ـ كفر الدوار

الجواب :

الزكاة حق الزرع وهى نوع من الشكر على نعمة إنبات الزرع ، وقد جاء أصل هذه الزكاة فى قوله تعالى : « وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده »[1] ، وفى قوله تعالى : « أنفقوا من طيبات ما كسبتم ، ومما أخرجنا لكم من الأرض »[2] .

دلت الآيتان على أن الزكاة فى كل ما تخرجه الأرض ، خراجية كانت يدفع عليها مال حكومى ، أم عشرية لا يدفع عليها مال ، قليلا كانت ما أخرجته الأرض أم كثيراً ، قوتا كان كالحنطة والأرز والذرة والفول ، أم فاكهة كالعنب والرمان والتفاح ، أم خضراً كالخيار والبطيخ وغيرها .

وقد بينت السنة أن زكاة الزرع هى عشر ما تخرجه الأرض إذا سقيت « بالراحة » أو نصفه إذا سقيت بالآلة ، وذلك فى قوله عليه السلام : « فيما سقت السماء العشر » .

وزكاة الزرع هذه ترتبط بالزراعة لا بالحول ، حتى لو زرعت الأرض أكثر من مرة فى العام الواحد وجب إخراج زكاة الزرع فى كل مرة ، اتحد الصنف أم اختلف .

والتعميم فى زكاة الزرع على هذا الوجه ـ هو الذى يحقق معنى التكافل الاجتماعى الذى يقصده الإسلام من مشروعية الزكاة ، والذى يقضى بعدم استئثار طائفة من الناس بنعم الأرض التى أعدها الله للزرع وامتن بها على جميع عباده .

والرأى المعتمد أن زكاة الأرض على المستأجر الذى يباشر الزرع [1] .

---

(١) الآية ١٤١ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ٢٤٧ من سورة البقرة .

(١) انظر كتاب الفتاوى لفضيلة الإمام الراحل محمود شلتوت إذ له فى هذه المسألة بحث مستفيض .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# الكتب

نقد وتعريف : محمد عبد الله السمان

---

## إيمان فرعون

للأستاذ محمد محمد عبد اللطيف

من غرائب المصنفات قدم لنا الأديب المحقق الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف ( ابن الخطيب ) قضية « إيمان فرعون » وهى قضية ليست شائكة وحسب ، ولكنها على جانب من الأهمية ، إذ أنها تثير مشكلات فلسفية وعقيدية ولغوية .

يرى الأديب المحقق أنه من المعلوم عقلا ونقلا أن فرعون كان من أئمة الكافرين ، وهكذا اعتقد كما اعتقدت الأمة الإسلامية جمعاء دون أن يشذ عن هذا الإجماع واحد من المفكرين أو من غير المفكرين ، ممن ينتسب إلى العلم أو ممن لا ينتسب .. ولكنه بينما كان يقرأ فى كتاب « فصوص الحكم لمحيى الدين بن عربى ، إذ به يقول قولا جازما بإيمان فرعون إيمانا لازما ، فاضطر إلى أن يواصل البحث والتنقيب عله يجد مؤيداً لابن عربى بين السابقين أو معارضا له ، فعثر على رسالة خطية للعلامة جلال الدين الدّوانى تقول بما قال به ابن عربى ، وعلى رسالة أخرى للعلامة على بن سلطان القارى أسماها « فرّ العون من مدعى إيمان فرعون » فرأى أن يسوق هذا البحث .

الرسالة الأولى دفاع عن ابن عربى وتأييد لرأيه فى إيمان فرعون ، وحجته الآية المشهورة : « حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين » وقوله تعالى : « ورحمتى وسعت كل شىء » و « أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » و « إن الله يغفر الذنوب جميعا » ثم أخذ فى تأويل الآيات التى تدين فرعون مثال قوله تعالى : « ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » وقوله تعالى عن فرعون : « فأخذه الله نكال الآخرة والأولى » .

أما الرسالة الأخرى : فهى بمثابة تعقيب على الرسالة الأولى لدحض آرائها ، وتوضيح بطلانها بالكتاب والسنة والإجماع ، وأنكرت أن يكون هناك أى خلاف بين علماء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



المسلمين فى تطويق فرعون بالكفر وخلوده فى النار ، كما اعتبر المؤلف كلام ابن عربى نفسه فى كتابه فصوص الحكم مدخولا مدسوساً عليه ، وتمسك بقوله تعالى : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ، ولا الذين يموتون وهم كفار ، أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما » تمسك بهذه الآية دليلا قاطعا على عدم قبول توبة فرعون . .

هذا وقد أثبت الأديب المحقق ابن الخطيب الذى بذل مجهوداً مشكوراً فى تحقيق النصوص والتعليق عليها ، أثبت بعد الرسالتين رأى السيوطى فى ابن العربى ، ومؤداه أن لا تقطع فيه برأى ، وأثبت أيضاً رأى ابن حجر فيه ، فذكر أن ابن العربى لم يرد إثبات إيمان فرعون بدليل ما سبق عنه فى الفتوحات ، وإنما قصد أن الأدلة فى كفره ليست قطعية .

وبعد ـ فالقضية قضية شائكة كما قلت ، لكن المعروف أنه لم يشذ عن إجماع علماء المسلمين فى موت فرعون على الكفر غير ابن العربى إن ثبت عليه ما نسب إليه فى كتابه الفصوص .

وأما تأييد بعض تلامذته لآرائه فلا يعتد به ، لأنهم على منواله ينسجون ، وحتى المعتزلة المعروفون بالتفكير الحر لم يذهبوا إلى ما ذهب إليه ابن العربى ، فالزمخشرى فى تفسيره يذكر أن إيمان فرعون لم يقبل منه حيث أخطأ وقته ، وقاله حين لم يبق له اختيار .

كنت أود أن الأستاذ المحقق لم يفته أن يعرفنا ـ كما عرفنا بابن العربى ـ بالعلامتين صاحبى الرسالتين ، ليقف القارئ من واقع حياتها على منهجهما المذهبى ، والمعروف أن الأول العلامة الدوانى متشيع لابن العربى ، ولد فى دوان من بلاد كازرون ، وسكن شيراز وتوفى بها عام ٩١٨ هـ فى فارس حيث ولى قضاءها ، وله عدة مؤلفات معظمها مخطوط وعدة رسائل بالفارسية ترجم بعضها إلى الانجليزية . وأما العلامة القارى فهو على بن محمد سلطان المشهور بالملا على القارى ، فقيه حنفى ولد فى هراة وسكن مكة وتوفى بها عام ١٠١٤ هـ ، وله مؤلفات كثيرة ، منها تفسير للقرآن ، ورسالة فى الرد على ابن العربى فى كتابه الفصوص ولعلها التى نقلها لنا الأديب المحقق .

* * *

## دولة الفكرة

للأستاذ فتحى عثمان

ومنذ أيام ظهر كتاب جديد للأستاذ فتحى عثمان هو عبارة عن بحث مركز فى دولة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



الفكرة التى أقامها رسول الإسلام عقب الهجرة هذه الدولة التى يراها المؤلف حلم البشرية ، لا تقوم على حتمية ظروف الأرض أو الدم ، ولكنها تقوم على اختيار الإنسان بوعيه الكامل وإرادته الحرة ، ولقد كانت هذه الدولة التى أقامها رسول الإسلام فى المدينة عقب الهجرة تجربة حية مبكرة للدولة الأيديولوجية فى التاريخ ، لم تكن دولة مكة أو قريش ، ولا دولة المدينة أو الأوس والخزرج ، بل كانت دولة الإسلام المعروض على عقل كل إنسان .

فى هذا البحث عرض المؤلف للبناء القانونى للدولة ، أركانها الثلاثة : الأمة والسيادة والإقليم كما عرض للكيان المعنوى للدولة الإسلامية ، وأنها كانت أرحب فى آفاقها من الدم والأرض والسكان والإقليم ، وعرض لأيديولوجية الدولة المسلمة ، وأنها ترفض الولاء التقليدى ، لأنها تقوم على أمة العقل والفكر ، أمة الحجة والدليل ، أمة الحق وحده ، ثم عرض لعالمية الدولة الإسلامية ، وختم البحث بدراسة مستفيضة عن العقد الاجتماعى والتضامن الاجتماعى ، فناقش آراء الفلاسفة الذين أجهدوا عقولهم ليقيموا شرعة العدل ، مثل روسو وروباتوف ، وديجى ، ثم عقب بقوله : إن الفلسفة التشريعية للأيديولوجية الإسلامية فى مبادئها العامة وموجهاتها العليا مصدرها الله وبيانها الوحى فى الكتاب والسنة ، فهى القانون الأعلى لكل من تقبل عقيدة الإسلام وأقتنع بمنطق الإيمان .

* * *

## كتب جديدة

### صانع النور

تأليف : عباس محمود العقاد

الناشر : دار العروبة بالقاهرة

يقع الكتاب فى مائتين وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، وهو دراسة مدار البحث فيها على البعثة النبوية ، وما تقدمها من أحوال العالم ، وأحوال جزيرة العرب ، وأحوال الأسرة الهاشمية ، وأحوال أبويه الشريفين .

تناولت الدراسة فى الفصل الأول الطوالع والنبوءات وما تضمنته الكتب الدينية السابقة من بشارات برسول الله ، وفى الفصل الثانى مقدمات النبوة ، وفى الفصل الثالث النبوة المحمدية ، وفى الفصل الرابع سيد الأنبياء . وفى الفصل الخامس الإسلام دين الإنسانية ، وفى الفصل السادس الكعبة ، وفى الفصل السابع والأخير أسرة النبى صلوات الله عليه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# أنباء وآراء

حول جمع القرآن وتدوينه :

جاء فى مناقشة السيد الدكتور الأهوانى للأب الفريد ما نصه قوله : « ولكن هؤلاء العلماء ، وهم من المستشرقين ، لم يشكوا أبدا فى القرآن ، لأن تدوينه وحفظه تم فى زمان مبكر فى عهد عثمان بن عفان ، وروعيت فى كتابة المصحف ضمانات شديدة تبعد عنه أى شك » وتبيانا للحقيقة أقول :

إن القرآن الكريم كتب ودون جميعه فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم غير أنه كان مفرقا فى العسب ، واللخاف ، والأكتاف ، والرقاع ، وأنه كان محفوظا جميعه فى عهد النبى حفظه عن ظهر قلب العدد الكثير الذين يثبت بهم التواتر المفيد للقطع واليقين ، وهـــذا أمر استفاض به النقل الصحيح الموثوق به ، فلما توفى النبى ، وحدثت موقعة اليمامة التى استشهد فيها كثير من القراء أشار الفاروق عمر على الخليفة الأول أبى بكر أن يجمع القرآن فى صحف مجموعة ، وبعد مناقشة بينهما وافق الصديق على كتابة القرآن فى مكان واحد بدل كتابته مفرقا ، وقام بهذا العمل العظيم الصحابى الجليل : زيد بن ثابت أحد كتاب الوحى الأمناء بين يدى الرسول فجمعه بعد تحر وتوثق بالغين ، وقد حفظت هذه الصحف عند الصديق ، ثم عند عمر ، ثم عند حفصة حتى طلبها منها عثمان فى جمع المصاحف فى عهده .

فلما كان عهد عثمان واتسعت رقعة الإسلام ، واختلف بعض المسلمين فى القراءات كل يزعم أن قراءته خير من قراءة الآخر ، رأى عثمان ورأى معه الصحابة أن يكتب القرآن بحرف واحد وهو حرف - لغة - قريش ، وهو أحد الأحرف السبعة التى نزل بها جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم تيسيراً على العرب آنئذ وتسهيلا ، فندب لهذا العمل الموفق زيد بن ثابت ، ومعه ثلاثة من خيار المسلمين وحفاظهم وهم : عبد الله بن الزبير ، وسعيد ابن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فكتبوا المصاحف العثمانية من عين ما كتب فى الصحف التى جمعت فى عهد الصديق مقتصرين على حرف قريش ، ثم ردوا الصحف إلى حفصة ، ثم وجه عثمان إلى كل قطر من الأقطار الإسلامية المشهورة بمصحف ، وأمرهم بالتزام القراءة على ما فيه ، وأبقى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



لنفسه مصحفا وهو ما يعرف بالإمام ، وبهذا العمل الموفق قضى على الخلاف ، ووقى الله المسلمين شر الفتنة .

ومن ثم يتبين لنا أن القرآن كله ، كان مكتوباً محفوظا فى عهد النبى ، وأن ما كتب فى عهد عثمان هى المصاحف العثمانية والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد فى الدنيا الذى توفرت له من الضمانات ، والإثبات التاريخى اليقينى ما لم يتوافر لغيره من الكتب ، فقد نقله عن النبى الجم الغفير من الصحابة ، وعنهم نقله وحفظه الألوف وهكذا تناقله الألوف عن الألوف حتى وصل إلينا كما أنزله الله سبحانه من غير زيادة ولا نقصان ، ولا تحريف ولا تبديل مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وعسى أن تكون لى عودة لتجلية هذا الموضوع الجليل إن شاء الله تعالى ؟

د . محمد محمد أبو شهبه

## الذين يعيشون فى الظلام !..

إنهم طائفة من الناس ، لا يستطيعون العيش إلا فى الظلام ...

فى ظلام الريب والظنون ... وتدبير المؤامرات ضد الآمنين ... وضد الناجحين .

مثلهم كمثل الخفافيش ، التى لا تخرج إلا تحت جنح الظلام ... حتى إذا ما انبلج النور اختفت ، وتوارت بالحجاب ... لأن عينيها الضعيفتين لا تقويان على مواجهة النور ! .

نرى هذه « الخفافيش البشرية » تعيث بيننا فسادا ... فى بيوتنا ... وفى دوائر أعمالنا . تجارتها الرقيمة ، وهدفها الوصول بأى ثمن ولو على أشلاء الأبرياء ! ...

أشد ما يغضبهم ، وينغص عليهم حياتهم ، أن يروا الناس فى صفاء ... متحابين ... فيكدرون صفوهم بما يروجونه حولهم من شائعات كاذبة ، واتهامات باطلة ، يفرقون بها بين المرء وزوجه ... وبين الأخ وأخيه وبين الابن وأبيه ... وبين الصديق وصديقه حتى إذا ما نجحت خطتهم الدنيئة ، طابت أنفسهم ، وقرت أعينهم ، وراحوا يبحثون عن صيد جديد ... وما أكثر ضحاياهم ؟ ...

ولو أن هؤلاء الذين يعيشون فى الظلام استعانوا بهذا الذكاء الخارق فى نواحى الخير والإصلاح بين الناس ، لكان خيراً لهم وأقوم ولكسبوا محبة الناس وعاشوا معهم ... فى النور !! ...

ولو أنهم نفقوا هذا الوقت الذى يضيعونه فى تدبير المؤامرات فيما ينفعهم ، وتذوقوا لذة الخير ... لما وجدوا أطيب منها مذاقا ! .

ليتهم يستمعون القول ، فيتبعون أحسنه ! .

عيسى متولى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# فى محيط العالم الإسلامى

يقدمه : محمد عبد الله السمان

---

لماذا العرب وحدهم ؟

ليست قضية فلسطين عربية محضة لأنها قطعة من أرض العرب ، فالحقيقة التى لا جدال فيها ، إن فلسطين أيضا بلد إسلامى لها ودها ، فيها ثالث الحرمين ، وأرضها مهبط عديد من الأنبياء والرسل - صلوات الله عليهم .

وإذا كانت الشعوب العربية قد عقدت العزم على أن تنتصر لقضية فلسطين ، وأن تمحو الوصمة التى ألصقتها الصهيونية الآثمة بجبينها منذ سبعة عشر عاما . فتسترد الأرض السليبة ، وتستعيد كيان أكثر من مليون لاجىء ، فليس معنى هذا إعفاء الشعوب المسلمة قاطبة من واجب المشاركة فى الجهاد من أجل فلسطين ، فليس المجال مجال فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين ، وإنما هو فرض عين ، ما دام عدوانا ماقد وقع على أرض إسلامية كما يقول فقهاؤنا .

لماذا أسهم يهود العالم جميعا فى وجود إسرائيل ، ولم يزالوا يسهمون ، ويتقاعد المسلمون عن نصرة إخوانهم فى العقيدة ؟

أنسى المسلمون أن المؤمنين إخوة ، وأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وأن المسلمين يجب أن يكونوا يداً واحدة على من سواهم ...

وإذا كانت الشعوب المسلمة قد نسيت ، فأن علماء الدين ، وهم من الكثرة بمكان ؟ يصيحون دائما فى الشعوب ليوقظوا فيها إحساساتها ، ويحركوا مشاعرها نحو قضية فلسطين العربية المسلمة .

هذه ألمانيا الغربيـــة تتحدى أربعمائة مليون مسلم أو يزيدون ، وكأنما حق على هؤلاء الأربعمائة مليون قول الله عز وجل : « وتحسبهم أيقاظا ، وهم رقود » صدق الله العظيم .

* * *

## أخبار قصيرة :

• صدق الحاكم العام فى غزة على قانون التجنيد الإجبارى ، بعد أن أقره المجلس التشريعى الفلسطينى ، وأصبح بذلك نافذ المفعول .

• أصدر الرئيس الجزائرى : أحمد بن بيللا أمراً بالعفو عن عـــدد من المسجونين السياسيين أثناء زيارته لسجن تاربروس ، بمناسبة المؤتمر الذى عقدته منظمة المجاهدين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



القدماء والأحياء ذكرى المعتقلين السياسيين الذين توفوا فى السجن أثناء ثورة الجزائر .

* تدرس وزارة الأوقاف بالقاهرة مشروع اسهامها فى إنشاء الجامعة الإسلامية الجديدة فى الباكستان « جامعة تعليمات إسلامية » ومن الجدير بالذكر أن هذه الجامعة سيدرس فيها العلوم الإسلامية والعربية باللغة العربية .

* أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة تعيد النظر الآن فى جميع علاقاتها بأندونيسيا، وذلك بعد إغلاق جميع مكاتب الإعلام الأمريكية فى أندونيسيا .

* أصدر المؤتمر الإسلامى الذى انعقد فى مقديشيو عاصمة الصومال قرارات تقضى بإنشاء هيئة استشارية للشئون الدينية الخاصة بالمسلمين الأفريقيين ، وبإقامة معهد لتدريب رجال الهيئات الإسلامية ، وبإنشاء سوق مشتركة بين الدول الإسلامية فى آسيا وإفريقيا .

* وكذلك أصدر المؤتمر الإسلامى الذى انعقد فى جاكرتا عاصمة أندونيسيا بيانا دعا فيه الشعوب الإسلامية إلى التضامن فى الكفاح ضد الاستعمار بشكليه : القديم والجديد ، ونددا البيان بالأعمال الإجرامية التى يباشرها الاستعمار فى الجنوب العربى وعمان وفى انجولا وموزمبيق ، وقرر المؤتمر تشكيل سكرتارية دائمة للمؤتمر يكون مقرها فى أندونيسيا .

* صرح الرئيس الجزائرى أحمد بن بيلا خلال جولته فى غرب الجزائر بأن : رسالة الثورة الجزائرية عربية إسلامية منبثقة من صميم واقع بلادنا .

* بلغت المساعدات الاقتصادية الأمريكية لباكستان فى العام الماضى أكثر من ٤٠٠ مليون دولار، ومن الجدير بالذكر أن الصين الشعبية قدمت لباكستان، قرضا قدره ستون مليون دولار ، وأن الاتحاد السوفيتى أعلن استعداده أيضا لتقديم قرض قيمته سبعون مليون دولار .

* حث فرع منظمة الملايو الوطنية الحاكمة فى أراو بشمال الملايو حكومة ماليزيا على سحب اعترافها بإسرائيل .

* زار القاهرة وفد السلام اليابانى بعد زيارته للقدس ، يضم الوفد عشرين عضوا برأسهم عميد جامعة ريكيو اليابانيه ، وذلك ضمن جولة إلى بلاد الشرق الأوسط الغرض منها الدعوة إلى السلام فى العالم ، ومناقشة المسائل الدينية ، قابل الوفد الامام الأكبر شيخ الأزهر ، والسيد المهندس أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء لشئون الأوقاف والأزهر ، الذى أوضح للوفد مبادىء الإسلام ، ودورها فى تدعيم السلام ودور وزارة الأوقاف فى نشر المعرفة والدين والتطور الذى تم فى جامعة الأزهر .

محمد عبد الله السمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# News From The Muslim World

*By : Muhammad Abdullah El - Samman*

* The Secretary general of the Islamic Researches Academy of AL-Azhar has extended the invitations to fourty ( 40 ) countries and a number of important personalities from all over the world, to attend the Second conference of muslim Scholars, to be Commenced in Cairo from the middle of May 1965. It is undestood that the muslim Scholars will hold a Special Session of the Conferenee in Gaza Strip to discuss the Palestine problem. A large number of Palestinian Scholars and leaders, and the members of Palestine Liberation Organisation, will attend the Session.

* Just a few months ago an Islamic Conference was held in the capital of Somalia. The Conference has recommended in a resolution, to form an advisory body to look after the religious atfairs of the African muslims. It also recommended to establish a training centre for muslim Scholars.

* The Faculty of Islamic law of the Al-Azhar University has started an institute of higher Studies, in the premises of the ancient Al-Azhar Mosque. It will facilitate to teach Islamic studies and Arabic litrature for the foreign Students and the obtainers of Al - Azhar Secondary certificates or its equivalant. After the completion of four year course, they will be given a certificate equivalent to the Al-Alamia degree.

* The grand Sheikh of AL-Azhar, H. E. Hassan Al-Mamoon precided a meeting of the Scholars of Islamic Jurisprudence. the meeting discussed the possiblity of preparing an encyclopedia of the legal Schools of the muslim jurisprudence and to translate it into living languages; to bring nearer the different Schools of Islamic faith and provied the non-muslims with the heritage of Islamic jurisprudence and thought.

* keeping in view the historical importance of the city of Jerusalam, the Jordanian parlia-ment has passed a bill, banning the possession of land or building in that city by foreign or Jordanian Companies and religious Societies.

* It is reported that Japan will undertake a project to build a railway line between Nigeria and Sudan to Connect the Lagos City ( in the Nigeria ) with port Sudan. The project will cost £ 30 million. This link will help the muslim pilgrims coming from west Africa.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# Sheikh Al-Azhar Answers

*H. E. Sheikh Hassan Mamoun, the grand Sheikh of Al-Azhar, received on March 21st. Mr. IB REHNE of the Danish State Radio. He asked his Eminence four questions about Islam and the message of Al-Azhar.*

Q- Al-Azhar is regarded as the spiritual centre of Islamic world. Is it still so ?

A- Al-Azhar was, and is still and will be, the spiritual centre of the Islamic world for it devotes its message to the education and the preservation of Islamic heritage as preseribed in the holy Quran and the Sunna both of which are the chief source and foundations of Islamic legislation. Since the establishment of Al-Azhar up to the present day, it has undertaken the preaching of the Islamic call throug out the world. Also it is the theological stronghold of Islam to which Muslims from every part of the world come to study Islamic faith and return to their countries to be the messengers of Islam.

Q- Does Al-Azhar play, a polirole in the Middle East ?

A- The U.A.R. Policy in the Middle East is founded on positive neutrality and Non-alignment and the liberation and unity of the Arab and Muslim people. Besides; Al-Azhar teaches these principles to the sons of the Middle Eastern countries and others. In all this Al-Azhar conforms to the teachings of Islam and the fundamental principles which are enjoined by the Quran and prescribed by the Sunna on condition that they are not opposed to the spirit of the legislation stated by God.

Q- To what extent does Islam correspond with modern Arab Socialism ?

A- Arab-socialism is represented in sufficiency and justice, which are the two main aims of the Islamic faith.

Q- Does the government ask the opinion of Al-Azhar before issueing a new Socialist law ?

A- Socialist laws issued by the government aim at granting the interests of both the individual and society, at the prevailing of justice, at the eliminating of class differences and at the establishing of equality of rights and duties among the citizens. Al-Azhar approves these principles for Islam approves and promulgates them. & Al-Azhar does not hesitate to co-operate with the Government in issuing any Islamic Legislation that aims at the common Good so long as it is not contradicted to any statement in the Quran and the Sunna.

*Translated By :*
FATHY HAMMAD
*Member of the office of Sheikh Al-Azhar*

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



The Qur'an says :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ( ٧ / ٥٩ ) .

And whatsoever the messenger giveth you, take it and wahatsoever he forbiddeth, abstain (from it).(7/59)

It also says :

« وما ينطق عن الهوى. ان هو إلا وحي يوحى » ( ٥٣ / ٤ ، ٣ ) .

« Nor doth he speak of (his own) desire. It is not save an inspiration that is inspired.»

The prophet also very often emphasised the impotance of tradition as a guide for his followers. He was happy at the reply of Mu'ath ben Jabal who said to him when he was appointed as on official in Yeman that he would follow his prophet's tradition if he failed to find guidance in the Qur'an.

Almost all the companions, however decided the cases with which they had to deal, on the basis of of the traditions, of the prophet, if they failed to find any guidance in the Qur'an, and followed their opinions only when they could not find any tradition on the subject, but as soon as they came to know of it, they changed their decisions if necessary and followed the tradition :

There are three kinds of traditions :

1) It may be a saying of the prophet which has a bearing on a religious.

2) It may be an action or practice of his.

3) or it may be his silent approval of the action or practice of some person.

There is an important notice in this connection that the idea at prophethood in Islam is very different from that in christianity and some other religions, as it has explained in the Qur'an at many places. In Islam the prophet is neither a God nor an angel nor a demi - god - He is a human being like other human beings, having the same needs and requirements as they have. The important difference between the prophet and other human beings is that he is gifted with a special capacity to receive inspiration from God, and possesses great keeping related to all that, self cotrol, self confidence and great capacity for influencing the thoughts and activities of peouple at large, and leading them to the righ path.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# Tradition is the Second Source of Islamic Law

*By*

IBRAHIM M. EL-ASSIL

ISLAMIC RESEARCH ACADEMY

The Qur'an is the first source of Islamic Law. It is considered the eternal miracle of Islam and has been revealed in parts at different times during a period of twenty three years, as necessity demanded it. The Qur'an is comparatively short, so it contains the general principles by which all matters as dorgmatic, ritual legal political and social questions should be regulated.

It is therefore essential to interpret and elaborate the relevant texts.

The natural, and indeed the only possible interpreter whose judgement can be trusted is the prophet through whom they were revealed; According to the Qur'an itself this prophet was possessed not only the Qur'an but also the wisdom. Allah says :

« وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم » ( ٤/ : ٣ )

« Allah revealeth unto thee the scripture and wisdom and teacheth thee that which thou knewest not» ( 113 / 4 )

In addition to these important sources of Islamic Law there are the other two sources, analogy (qiyàs) and consensus (Ijmaà) when a new problem, which is not covered by a clear statement in Qur'an or tradition arises, the jurists look for a case resembling it in the Qur'an or in the tradition, and by reasoning on the basis of analogy, arrive at adicision, that process called analogy and it is counted as the third source of Islamic Law.

The well-known learned men of Islamic Law, in looking for a solve to a new problem, may gather togather and consult and if they agreed upon one opinion ( by a majority, this process represents the fourth source of Islamic Law «Consensus of opinion ) "Ijama".»

That is about the four sources of Islamic Law in general but in the following I shall confine my saying to the second source "tradition" Hadith.

The importance of tradition as an important source of Islamic Law has been laid down in the Qur'an, emphasised by the Prophet, recognized by his successors, and accepted by all the Muslim jurists.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



In this way Islam achieves equality, fraternity, and sympathy amongst the individuals of the society. It does not open its breast to grudge between the members of the society, and sinks all differences to the bottom.

God has Said in his Holy book "the Qur'an" the great story of korah whom God had bestoweed richness on him, but he declared that nobody had a right in his money, and thought that he had gain it with his own efforts, and thus no body had a right to take onything from him. In the end he faced damage and was smashed.

Korah was of Moses folk but he oppressed, and behaved haughtily towards them, for God had given him such treasure that its keys would have burdened a company of men of strength, when his people said to him "exculte not, for God loves not those who exculte, but seek the future mansion, and neglect not your part in this world, but he bounteous to others as God has been bounteous to you, and seek not to commit excesses on the earth, for God loves not those who commit excesses. He said : It has been given me only on account of the knowledge that is in me.

Did he not know that God had destroyed before him generations they were mightier than he in strength and has amassed more abundant wealth ?. But the wicked shall not he asked of their crimes.

God imposed with the same intention to climinate class disparities between the rich and the poor, the Zakat of the lesser bairam. God considers it a duty which complete the obligation of fast.

In this way God enables the rich to lend a hand to the poor, and leads to them a happy life, filled with felicity, and free from misery.

Thus good temper oils the wheels of life, and no hatred is born in the hearts of the poor towards the rich, and no reproaches are heaped or borne on the back of the latter. This due makes the rich friends indeed to those who are in nead.

Some people do not find the opportunity to eat their fill except on the days of greater bairam.

On the day of Ashouraa alms are given to poor on occasion of these blessing days and auspicious nights

Thus Islam undertakes the rights of the poor, and grasps reciprocal responsibility to achieve justly social security amongst the people.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



condition is to reach a certain limit which is considered the law portion to richness. The Muslim jurisprudents considered the wealth which is below this partition exonerated from this due.

Muhammad, the messenger says "Aim is imposed on the back of the rich".

It is paid provided that it is growing wealth in order one may pay it through one's wins. In this case his capital does not descrease. This condition is not imposed only on increasing money but also on money liable to increase and prepared to grow.

One who keeps his money in the bank, and does not fructify his wealth, and invest his money in any project must pay this due because his money is capable of being increased, but its owner declines to make use of it.

The condition which should be fulfilled to have growing money is to reach a certain portion as it was mentioned, but it should pass one year in order to wipe out any suspect of being not increased.

It must be the remainder after its owner has been satisfied, because if one is in need of money to spend on himself or on his family, or to pay his debts one is not in any respect a rich man. Thus this one must not pay the poor due. If One is compelled to pay this due it will be taken in this case without One's free will, but forcibly.

God says in the holy Qur'an : "And they ask thee what they aught to spend, say that which is superfluous. Thus Allah maketh plain to you. His revelations that haply ye may reflect "Surah II. 219.

God wished moderation in what is paid to the poor in order to allow the poor to feel justice, and to enable the Rich to pay this due with satisfaction. One should pay two and a half percent of One's money, whether it is from gold or silver, or banknotes, or the costs of commercial goods. Four per cent of the harvests of the fields which owner irrigate them should be paid as a duty. In every twenty Ardels (unity of capacity) of cow, or barley, or rice which exceed the need of their owner, he should give half ardeb to the poor and needy.

The owner of the sheep, the cows, and the camels which pasture and graze nearly in all the year should pay a certain duty mentioned in the Islamic law.

One pound should be paid as zakat on every fourty pounds which one owns above One's necessity.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



Lo ! Thy prayer is an assuagement for them. Allah is Hearer, knower.

God also says "Worship none save Allah ( only ) and be good to parents, and to kindred, and to orphans, and the needy, and speak kindly to mankind, and establish worship, and pay the poor due".

Thus Zakat is one of the pillars of Islam which fills the gap between the rich and the poor, and abolish loathsomeness, and hatred towards the former class.

No wonder Muhammad the messenger says "Islam is established on five pillars: the witness that there is no God save Allah, and Muhammad is the messenger of God, to establish worship, and to pay Zakat, or the poor due, to keep fast, and to visit the holy land, and go on pilgrimage to those who are capable to pay this visit.

A man from the tribe of Tamim came to Muhammad and said "Oh Messenger: I have much money, and numerous relatives, and I own a great city. Tell me, then, what can I do, and how do I spend my wealth ?. The messenger adressed him : You pay the poor due "Zakat" from your money because it purifies it, intimate relations with your relatives, know the right of the indigent, your neighbour, and the medicant.

Thus Zakat is a part from the money, or the wealth of the rich which God has enacted. It is paid in eight respects which God has nominated. The alms are only for the poor, and the needy, and those who collect them, and those whose hearts are to be reconciled, and to free captives, and the debtors, and for the cause of Allah, and for the wayfarer. It is a duty imposed by Allah.

A special portion of Alms was allotted to the people of Mecca, the former enemies of Islam, who were converted en mass after the capture of the city and whose hearts are reconciled.

The alms should be given to those who are absolute paupers, those who are in some temporary distress. This due is not only an ordinance from God but also a remedy for the shattered hearts, and stillness for the puzzled souls.

When God has imposed this due he has kept in view justice in the money of the rich, and mercy on the poor. God acts to fit the intrests of the rich to the sustain of the poor, and complies with the principle of economy in spending money, and paying heed to the conditions which should be fulfilled in every just tax.

The legislator has put a condition to impose the poor due. This

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# Social Security in ISLAM

*By : Dr. GAMAL ELDIN ELRAMADI*

Amongst the Islamic principles which Islam has imposed on the Muslims to achieve social security is to urge every capable man to work and not to remain idle because idleness seems as weeds which grow apace in the heart of the unemployed. It brings mischievious thoughts, and arouses revenge towards those who can gain easily their livings and pick up the threads of a happy life.

Islam appeals to make co-operation amongst the individuals of the society. This co-operation is a protective shield against seperation and crack. It avoids the arrival of disasters, the spread of misery, indigence, and penury.

Islam has prescribed some ways to cure these maladies, and wipe out these ailments, and thus rescue the Islamic society from the perils which threaten it and lead it to damage.

The ways which Islam has surveyed to abolish these pests and nuisances open the gates to sustain the poor, and miserable.

God does not consider this help a sort of contribution or alms but a legal right which should be paid to them. Not only God does not confine this right to the wealth of the rich but also God particularizes a special part for the poor in the revenue of the state.

We are going to explain briefly what Islam has done to combat poverty, deal with the poor benevolently, and beneficently, and we will notice clearly that Islam is without misgiving, and doubt the religion of mercy, godliness, and sympathy. If the Muslims stick to their religion. and execute its orders. they will be exceedingly happy and will abolish misery, and solve the problems of poverty.

At first, Islam has enjoined Zakat, or the poor due which is one of the pillars of Islam. God says "But if they repent and establish worship, and pay the poor-due, then they are your brethren in religion. We detail our revelations for a people who have knowledge" (Surah the Repentance IX. II.) God says also "Take alms of their wealth wherewith thou mayst purify them and mayst make them grow, and pray for them"

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



when he was about to die. He said in his last minutes : "Keep up the Prayer. Keep up the Prayer..."

Observing the Prayer is so important in Islam that it is required to be performem in all eases : staying and travelling, in security and in case of danger. God, the Almighty; says : (Guard the Prayers and the Most Excellent Prayer, and, stand up truly obedient to God. But if you are in danger, say your Prayers on foot or on horseback. And when you are secure, remember God as He has taught you what you Knew not.)

He, the Almighty, spoke in the most threatning language about those who neglect the Prayers, in such as these Verses :

( But there came after them an evil generation, who wasted prayers and followed bad desires, so they will meet perdition).

"So woe to the praying ones, who are unmindful of their prayer".

It is repoted through Abdullah ibn Amr ibn al-As that the Prophet said : "Whoever Keeps up the Prayer, it will for him a light, an evidence of security, and a cause safety in the Day of gudgment. And whoever wastes the Prayer, it will not be a light for him, an evidence of security, of a cause of samety in the Day of Judgment. Such as this will be gathered among Qarun, Pharao, Haman, and Obayy ibn Khalaf." The great scholar Ib Al-Qayyim commented on this saying of the Prophet in this way : "That who wastes the Prayer is either occupied tco much by his money, his Kingdom, his high office, or his trade. The first will be among the company of Quran, the second among the company of Pharaoh, the third among the company of Haman, and the last among the company of Obuyy ibn Khalaf."

QUESTION

Did Islam lay special conditions in the performance of the Prayers ?

ANSWER

There are some conditions that should be realized before the performance of any Prayer, such as cleanliness of clothes, body, and place covering the private parts of the body and facing the direction of Kaaba in Mecca. There are some othere immaterial conditions that are required to be realized during the berformance of the Prayer, the most important as which is humility. The Prayer is not were words and movements like the quick movements of birds and animals. The accepted Prayer is the one that is performed in meditation, humility, and fear of God.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



QUESTION

If prayer was common in all divine religions, what, then, is the difference between prayer in Islam and in other religions ?

ANSWER

Prayer in Islam is a perfect and organized institution. It is not mere words of appeal and call to God. It is rather both action and speech fulfilled by meditation, heart, tongue and whole body. Islam laid out some conditions in order that the Prayer be valid, that is, cleanliness, well dressing, and facing the direction of Ka'aba in Mecca. Prayer should be performed in definite times, and each prayer of a given time has special sequence. Some times the Prayer may be performed individually or with the congregation, and some times it should be performed with the congregation. It is called out for in a special manner and special words. Therefore, the Prayer of Islam has no parallel in any other religion.

Prayer in Islam includes all physical kinds of respect and veneration, such as raising hands, standing, bowing down, prostration, and appeal. People usually resort to one kind or another of these symbols of respect when they meet important personalities. But the Prayer included all known kinds of respect in successive actions, in gratitude to the Creator, and in adoration to His Mighty Presence. Thus, Prayer begins by the declaration "Allahu Akbar" that is, God is the Greatest, accompanied by raising hands to the sides of the face, as a sign of respect. The praying one, then, stands reading "Al-Fatiha" which is known as "the Mother of the Qur'an", then he bows, and prostractes to the ground twice saying in all these movements "Allahu Akbar". The prostration in the Prayer indicates that people should venerate their Lord, Who is the Sole King and Creator, in a manner that is not allowed to be done to other than Him.

QUESTION

How important is the Prayer in relation to other kinds of worship in Islam ?

ANSWER

Prayer occupies the most important position in the Religion. The Prophet said : "The foundation of every matter is Islam; the pillar of Islam is Prayer; and the crouning end of it is the Jihad or strife in the cause of God." The Prayer is the first thing one is questioned about in the Day of gudgment according to the Profhet in one of his sayings. The Prayer wan commanded by the Prophet eves

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



God, the Almighty says to Abraham and Ismail, : ( Purify My House for those who visit it and those who abide in it for devotion and those who bow down and those who prostrate themselves).

The Angels called out Mary, the mother of Jesus ( peace be upon him ), saying in this Qur'anic Verse :

O Mary, surely God has chosen you above the women of the world. O Mary, be obedient to your Lord and humble yourself and bow down with those who bow ".

Jesus ( peace be upon him ) spoke about the favours of God on him and said, according to the Qur'an :

And He has made me blessed wherever I may be, and He has enjoined on me prayer and poor-rate so long as I live.

God praises Ismail in this Verse :

( And he enjoined on his people prayer and almsgiving, and was one in whom his Lord was well pleased).

In his advise to his son, Luqman said in these Qur'anic words :

( O my son keep up prayer and enjoin good and forbid evil, and bear patiently that which befalls you. Surely this is an affair of great resolution ).

When God made a covenant with the Children of Israel, He made prayer one of the most important obligations in that covenant. The Almighty says :

" And when we made a covenant with the Children of Israel : You shall serve none but God. And do good to your parents, and to the near of kin and to orphans and the needy, and speak good words to all men, and keep up prayer and pay the poor-rate . . . "

And :

( And certainly God made a covenant with the Children of Israel, and We raised among them twelve princes. And God said : Surely I am with you. If you keep up prayer and pay the poor-rate and believe in My messengers and assist them and offer to God a goodly gift, I will certoinly cover your evil deeds, and cause you to enter Paradise wherien rivers flow. But whoever among you disbelieves after that, he indeed strays from the right way ).

From all these texts, it is evident that prayer is an old worship called for by all Prophets and all divine religions, and it was not an exclusive to Islam.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



# PILLARS OF ISLAM

## ( 1 )

*By : Abdul Wadood Shalaby*

What is the first worship obligated in Islam ?

Prayer is the first worship obligated in Islam. It was made obligatory before Hijra by about three years. The way it was made obligatory shows how important is it in the eyes of God. Prayer was legislated exclusively in heaven during the Night of Ascension " Isra' " by a direct order from God to His servant Muhammad.

It is a known fact that governments call out their ambassadors for consultation in important matters where correspondence is not sufficient. Muhammad is the Messenger of God to His service. Being called by his Lord to ascend to the high heavens to give him the order about Prayer is a great evidence of its importance. The Prophet said in his Tradition of Ascension :

" God, the Almighty, made obligatory on my people fifty prayers. I returned carrying this divine order and I passed by Moses ( peace be upon him ) when he said : What has God made obligatory on your people ? I said : Fifty prayers. Moses said : Go and consult your Lord, Exalted be He, for your people could not bear it. I returned to my Lord, and He put off some of the prayers. Then I went back and told Moses who said again : Go and consult your Lord, for your people could not bear it. When I returned to my Lord, He said : They " the Prayers " are five " in number " and fifty " in reward ". No change there will be to My order. When I went back to Moses and he asked me to consult my Lord again I said : I am ashamed of my Lord, Exalted be He".

QUESTION

Is Prayer an exclusive worship of Islam, or it was also practiced in other divine religions ?

Prayer is one of the oldest kinds of worship in all religions. When Abraham ( peace be npon him ) migrated with his family to the barren valley of Mecca, he said what is reported in the Holy Qur'an :

"Our Lord, that they may keep up prayer ; so make the hearts of some people yearn towards them, and provide them with fruits ; so that they may be grateful".

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



mercy and prosperity, He is the owner of life and death.

This belief creats in soul of man courage and bravery, because he will have no fear of any power and will not be subject to any one but the cherisher of the worlds. Also this belief creats in him humility, for he knows that there is no power and distinction except from God. He can not feel pride over others because he realizes that there is no distinction between man and man except through good actions.

This faith also creats in him will of power for he is not dismayed by misfortune nor despair. He knows that the power of God is above all the powers. Those who believe in the supreme authority of God will be free from greed, anvy, and he will follow the way of truth in his all actions because he is sure that his creator knows every thing. He is nearor to him than himself. The prophet Muhammad commanded :

« اعبد ربك كأنك تراه وإن لم تكن تراه فإنه يراك .

( Serve your God as if you see him, if you see him not he sees you) The belief in the existence of God and His oneness obliges one to act according His Laws and orders and he will hasten to do good Services and actions, for the benefit of all human kind.

The belief in the Day of Judgment is another vital force that incites man to elevation in this life. It is a basic principle of Islamic faith. This Day is the end toward which every one will be returned. The holly Quran says :

« وأن ليس للانسان إلا ماسعى ، وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وأن إلى ربك المنتهى » . ( النجم : ٣٩ ـ ٤٢ )

(And that man can have nothing but what he strives for. And that his striving will be seen. Then he will be rewarded for it with the fullest reward. And that to your Lord is the Goal.

The Holy Quran States that the life of everyone, with its reward or punishment, abiding in paradise or Hell, depend upon the course of his life in this world. The Almighty Allah Says :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ( الزلزلة ـ ٧ ، ٨ )

( So he who does an atom's weight of good will see it; And he who does an atom's weight of evil will see it ).

« فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى » ( النازعات ٣٧، ٤١ )

( Then as for him who is inordinate, and prefers the life of this world; Hell is Surely the abode. And as for him who fears to stand before his Lord and restrains him self from lust the Paradise is surely abode ).

# The Effects of the Belief in the Oneness of God

BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE

The first basic principle of Islam is faith. The basis of Islamic faith is to believe in the existence of God and his oneness. This faith is realized by the first sentence of "shahada" of the witness: «لا إله إلا الله» (there is no god But Allah.) The belief in the oneness of God is the key of Islamic faith. The Holy Quran Says:—

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » .

( Say : He is Allah, the one ! Allah, the eternal, the absolute, He begets not, nor was begotten. And there is nonelike Him.) He is the creator of this universe. And there is no creator but He, no partner to Him. He is the onlyone who is distinguished by worship and he is the sole cherisher of human kind.

Nobody is asked for help or mercy save him. His mighty being is beyond limited human comprehension. He is the All Kind, All Knowing, He Knows all things both secret and open. He is Merciful and Beneficent, He is the Source of peace and safety. Quran describes attributes of Almighty, Allah, in this verse :

الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم . له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء . وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم .

(Allah ! There is no god but He, The ever-living the self subsistent by whom all subsist. Slumber over takes Him not, nor sleep. To Him belongs what ever is in the heavens and what ever is in the earth. Who is he that can intercede with Him but by His permission ? He Knows what is before them and what is behind them. And they encompass nothing of his Knowledge except what he pleases. His Knowledge extends over the heavens and the earth and the preservation of them both tires Him Not. And he is the Most High, the Great ).

The believer in the oneness of God will have no fear from anybody and he will not submit him self to any thing but the Real Lord of this Universe. One who believes that there is no god But Allah is, undoubtedly, Knows that there is no harm and benefit except through Him, All authority and power are only to Him. He is the granter of

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية



then granted its guidance.) The same turth is more fully stated elsewhere in the Qur'an as :

« سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى » .

(Praise the name of thy Lord the Most High, who hath created and then given order and proportion, who hath fixed a measure for every being and then granted it guidance).

It is this divine attribute of Cherisher and Sustainer of the Universe upon which much of the argument of the Quran is based, and it may be well, before proceeding further to state that argument briefly.

The first principle of the Quran's argument is an invitation to the intellect to understand and reflect. Over and over again it impress upon the reader that the only path to Truth lies through intellect and reason. Man must try to understand and reflect upon everything he feels or preceives with in himself and out side.

« وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

(For those of firm faith, there are Signs (i.e. Signposts of Truth) (enough) on earth and also within yourselves. Will you not see?).

وكأى من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » .

(How many are the Signs on earth and in the heavens which they (carelessly) pass by and from which they turn away (their faces).

If man will but make use of his intellect and reflect on the created Universe, the very first truth that will down upou his realisation will be the fundamental and universal law and discipline and part of an ordered System; there is nothing without good reason or a beneficent ultimate purpose. Were it otherwise, there would not have been this universal discipline and order which so carefully, to the minutest detail, holds together everything in the universe in a single integrated whole.

« خلق الله السموات والأرض بالحق ، إن فى ذلك لآية للمؤمنين » .

(God has created the heavens and the earth with good purpose. Verily, in this there is a sign for those who believe.)

« ولكن أكثرهم لا يعلمون » .

(and: Yet most of them do not know it)[1].

---

(1) The Quintessence of Islam.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية


# MAJALLATU'L AZHAR

( AL - AZHAR MAGAZINE )

CHIEF EDITOR :

*AHMAD HASSAN AL - ZAYYAT*

| DHU'LQA'DAH 1384 | ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE | MARCH 1965 |
|---|---|---|


# THE QUR'ANIC CONCEPTION OF GOD - III

BY : MOULANA ABUL KALAM AZAD

The next stage of divine guidance is that throuh the faculties of sense, perception and mental understanding. Beings lower than man lack intellect and reason, but they possess the powers of senses and understanding in the fullest measure necessary for all the functions relating to selfpreservation and reproduction. These powers, it is also to be noted, are not the same kind or degree for all beings, to each is given exactly that power and in that measure which would enable it to live in the environment or that particular state in which taqdir has placed it. The ant is givin a relatively stronger sense of smell; the eagle has relatively stronger sight. It would be irrelevant to examine whether these different faculties of animals and insects were so from the first, whatever that might mean, or whether they developed to meet the requirements of the situation. what is to be noted is that these faculties could not have been so developed by any human or other earthly agancy; they are Naturegiven, and Nature has prescribed the laws of existence, adjustment, growth and development which are unalterable.

Thus it is that, after naming Allah, the first divine attribute that this sura directs our attention to is that of Rabbil Alameen, the lord who cherishes, nourishes and sustains everything and guides it to its fulfilment. It was this attribute to which Moses referred when he said:

«قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى»

(Our Lord is he who has given everything its form and nature and

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

# الفهرس


صفحة

٨٨١ أثر الأدب فى ثورة العرب
للأستاذ أحمد حسن الزيات

٨٨٥ حكمة العيد وماشرع له
للأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

٨٨٧ هيا إلى العيد الأكبر
للدكتور عبد الحليم محمود

٨٩١ التثليث والصلب والقيامة والفداء ونظائرها فى الفلسفات والأديان السابقة
للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى

٨٩٧ التطورات التشريعية للطلاق
للأستاذ محمد محمد المدنى

٩٠٢ نفحات القرآن :
للأستاذ عبد اللطيف السبكى

٩٠٧ من روائد الثقافة الإسلامية
للأستاذ الفاضل بن عاشور

٩١٠ إشارات أبى العلاء
للأستاذ كامل السيد شاهين

٩١٦ تيارات منحرفة فى التفكير الدينى المعاصر ـ ٥ ـ
للأستاذ على الطنطاوى

٩٢٠ خواطر حول قصة الفداء
للأستاذ منصور محمد محمد عويس

٩٢٥ القوم الصوفية ـ ٣ ـ
ترجمة الأستاذ فتحى عثمان

٩٢٩ الإسلام والحياة
للأستاذ محيى الدين الألوائى

صفحة

٩٣٣ أثر البيئة فى أدب الأندلس (٢)
للأستاذ محمد رجب البيومى

٩٤٠ من شيم العلماء وشغفهم بالعلم ـ ٢ ـ
للأستاذ محمود الشرقاوى

٩٤٤ إلى أى مدى تتغير الأحكام العرفية بتغير الأزمان ـ ٦ ـ
للأستاذ بدر المتولى عبد الباسط

٩٤٨ الإقليمية فى الأدب : للأستاذ محمد كامل الفقى

٩٥٣ الشيخ محمد عياد الطنطاوى
للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

٩٦٠ الناحية العلمية من إعجاز القرآن
للأستاذ أحمد محمد الشرباصى

٩٦٥ رحلات الخليل إبراهيم إلى الحجاز
للأستاذ على الخطيب

٩٦٨ نقد ابن تيمية لمذاهب الاتحادية والقائلين بوحدة الوجود للأستاذ عبد الفتاح الديدى

٩٧٣ الإنسانية بين هوى النفس والشيطان
للأستاذ أحمد حسن الباقورى

٩٧٧ ما يقال عن الإسلام
للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

٩٨٣ الفتاوى : تقديم الأستاذ إبراهيم محمد الجمل

٩٨٦ الكتب : للأستاذ محمد عبد الله السمان

٩٨٩ أنباء وآراء : حول جمع القرآن وتدوينه ـ الذين يبيعون فى الظلام

٩٩١ فى محيط العالم الإسلامى
تقديم الأستاذ محمد عبد الله السمان


تتوقف المجلة عن الصدور فى الشهرين العربيين المسايرين لشهرى : يوليو وأغسطس

الثمن اربعون مليما

مطبعة الأزهر